مصير العالم

يُحَدّده مَصير القدس

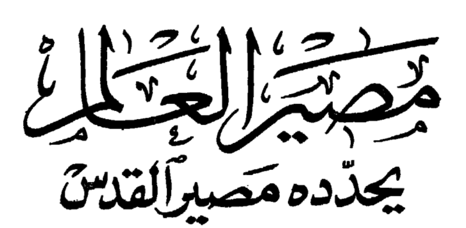
مكتبة المعارف
بيروت

مصير العالم
يحدده مصير القدس

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية

يطلب من مكتبة المعارف ص . ب - ١١/١٧٦١ - بيروت - لبنان



بقلم

الدكتور
رياض بشاره بارودي

مكتبة المعارف
بيروت

للمؤلف

- الأحلام تفسير الرؤيا
- مصير العالم يحدده مصير القدس

مقدمة

الكتاب يعالج مشاكل العالم الحاضر المستعصية من ناحية روحيّة تنظر إلى الأمور المعقدة من بعيدٍ ، من فوقُ ..

مشكلات العـــالم الحاضر تنحصر في مواضيع رئيسية اجتماعية وسياسيّة واقتصاديّة وعنصريّة ...

الاجتماعية تتناول ميوعة الجيل الطالع فيما يختصّ بالآداب العامة وفي أسباب تدهور الأخلاق وعوامل الإلحـــاد ... مشدّدةً على أن التقدم العلمي المدهش والتطور التقني العجيب لم يعملا على رفع مستوى التهذيب الروحي وتقويم الأخلاق بل عملا على عكس ذلك ...

في موضوع المشاكل السياسية يتركز البحث على أساس أن الحروب وعوامل العدوان مردّها أخطاء شخصية يرتكبها الحكام النافذون قد تكون عفوية وقد تكون مقصودة بغضّ النظر عن (المبادىء) التي يؤمن بها الواحد منهم ...

أخيراً مشكلة المشاكل الأخيرة والكبرى البادية في دوران وتألـّب قوى العالم حول الأرض المقدسة ومنشأ الانسان الأول . ظل الإنسان زمناً طويلاً متنكراً لمنشأه ومهبط وجوده، رافضاً المكان وأنبياءه وكتبه المقدسة وروحانيته ، متتبعاً اجتهاداته الخاصة وفلسفاته ومبادئه المتناقضة ، لكن العناية الإلهية تشاء في آخر الأيام أن تجرّه إلى مكان ظهوره الأول من أجل تحطيم كبريائه بأبسط الوسائل على الأرض المقدسة ... إن في تألـّب قوى العالم حول مصير القدس ظاهرة نبويّة خطيرة سوف تقلب أوضاع العالم رأساً على عقب .

بيروت في أول آذار ١٩٧٤

الدكتور رياض ب. بارودي

جيل طالع ام نازل ؟

في سن الشباب يميل الفكر البشري إلى التمسك بالمظاهر الخلاّبة والأشكال الجميلة بغضّ النظر عن الباطن ، ويؤثر الحكم مبنياً على مرحلة مؤقتة طارئة دون التفات إلى حالة الاستقرار ، لأن العقل يكون قليل الخبرة لا يحمل ذكريات ولا يحب التحليل .

يجد نفسه محاطاً بقضايا اجتماعية ومبادىء سياسية ومذاهب دينية وشؤون حيوية متعدّدة – وأنّ من واجبه تجاه محيطه ورفاقه أن يكوّن لذاته عقيدة خاصة به نحو كل موضوع منها .

مجتمع غارق في بحر من وسائل اللهو والبطر والتسلية ، سينما ورقص وسهر ومراهنات ومقامرة

ورياضة وتمثيل .. عادات اجتماعية يمارسها جميع الناس تقريباً وهم لا يعلمون من خيرها أو شرها شيئاً، فكيف يتّجه وماذا يختار !!

مبادىء سياسية متعددة منهــــا الملكية ، والجمهورية والديموقراطية البرلمانية ، والفاشية ، والاشتراكية على أنواعها، والشيوعية، والقومية العنصرية ـ تتعمق في الدرس والتحليل من أجل تأمين الرفاهية لكل فرد ولكنهــــا تنتهي بنتائج وحلول متباينة . فأين الحقيقة ؟

معتقدات دينية مختلفة ومذاهب طائفية تتفق على الجوهر وتتناحر على القشور، ويبلغ من خصوماتها أحياناً أنها تقسم المجتمع الواحد إلى فرق متبــــاينة وتمزق الوطن وتزرع الفتن والفوضى فأية فئة ينـاصر وأية فئة على صواب ؟

يواجه الانسان متطلبات الحياة هذه وهو بعد فتى قليل الخبرة ضعيف الإرادة لا يملك من عـــدّة التبصّر سوى ما يسمعه من محيطه وأقرانه وما يقرأه في كتب الدراسة والمكتبات ، ويرى نفسه مضطراً إلى اتخاذ رأي

حازم في أكثر من موقف منها مرتبط بأحد مواضيعها الحساسة .

لكن طموح الفتوّة والشباب لا يخمد بسهولة . وقد يظل يكافح حتى يدفع بتفكيره إلى تجاوز ما تأمر به التقاليد والعادات ونبذ المعتقدات الموروثة . لا سيما إذا وجد لما يبغيه سنداً في بعض النظريات العلمية المستحدثة المبنية على وجوه التقدم الآلي والتحسّن المستمر في أكثر مظاهر المعيشة . ويتحوّل من الواقعية إلى النظرية ومن الجوهر إلى المظهر في كل ما يتطلب منه تعيين الموقف وإبداء الرأي الحازم قبل إدراك النضوج العقلي وتحصيل الخبرة .

يتطلّع حوله فيرى كل شيء يتغيّر ويتحسّن بسرعة فائقة متخذاً شكلاً جديداً من يوم إلى يوم فيتصّور ان كل ما في العالم يسير هكذا، وان سنّة البقاء تقضي بوجوب التحول والتغيير على الدوام . ويتطرّق التصوّر في أكثر الحالات إلى افتراض ان التغيير ينبغي انّ يشمل التقاليد الأدبية والأخلاقية والمعتقدات الدينية والروحية.. وهنا تكمن طلائع الكارثة الكبرى ـ الثورة

على كل ما هو (قديم) وتحبيذ كل ما هو (جديد) ...

مع العلم انـه فيما خلا الأمور التقنية والأدوات قـلّما نجد فارقـاً دائم الوجود بين القديم والجديد من العـادات فليس من جديد تحت الشمس . إنما طبيعة الانسان تميل إلى نبذ مـــا تُكثر من استعماله ورؤيته وتتمنى التحوّل والتنقّـل ـ فموضة اليوم كانت دارجـة في الجيل الأسبق وما طرحه الجيل المـاضي من وسائل اللهو والمرح يعود اليوم إلى تبوُءِ مركز الصدارة .

القديم والجديد :

يتسابق النـاس اليوم صغاراً وكباراً مثقفين وغير مثقفين في مضمار تربية شعر الرأس وإرخـــاء السالفين واللحى في حين تنصرف النسوة إلى قصّـه وتقصيره مـا أمكن، وبات التعرّي واختصار المـــلابس الساترة أمراً محبذاً ـ فهل نعتبر ذلك ظاهرة جديدة أوحى بهـا الرقي والتقدم ؟

الاستعراضات الراقصة على أنغام موسيقى الجـــاز الزنجيّـة تكاد تخلب الالباب في المرابع الليلية والستيريوهات

وأحدثُ الرقصات وأحبها إلى القلوب مستمدة من رقص زنوج اميركا وأواسط أفريقيـــا كما كانت تمارسه القبائل المتوحشة منذ مئات السنين، فكيف يعلل منطق المدنيّة الغربية مماشاة أبنائهـا لميوعة أبنـاء القبائل الأفريقية غير المتطورة ؟

ليست الجِـدة في المظاهر والتصرفات ووسائل العيش والتسلية وشؤون الحياة الخـارجية ، الجديد لا يكون في الأدوات المـــادية والآلات والمخترعـــات والسيارات والطائرات .. الجدة تكون في صُلب الانسان نفسه ــ في مراميه وأهدافه وميوله ــ في سمو الخلق ورفعة الفكر ونزاهة التصور .

الجدة في الانسان ينبغي ان تتعدى الميول والشهوات التي يشترك فيها مع الحيوان بصفته أعلى وأرفع شانا عنه.

إذا أخذنا بعين الاعتبار قول التطوريين إن الانسان متطور من حالة أدنى وانه يتجه دائماً إلى مـا هو أفضل وأحسن وأرقى وأنفع ــ وجب علينـــا أن نراه يبتعد شيئاً فشيئاً عن مماشاة الحيوان لا أن ينصرف في آخر الأمر إلى تقليد حركاتـه والرجوع بشهواته إلى الوراء .

فلا قديم ولا جديد فيما يتعلّق بنفسية الانسان ـ في ميوله وتفكيره وطموحه ووجهة نظره إلى جوهر الحياة . إننا نجد الأمور المحسوبة جديدةً وتقدمية ـ كالاختراعات العائدة إلى أسباب الراحة والرفاهية والاستمتاع وسرعة التنقل ووسائل اللهو والمرح وقتل الوقت ـ نجد هذه الأمور من العوامل الاساسية في تحطيم الاندفاع الروحي .

إنها تمنع نفس الانسان من أي تقدم نحو المحبة المجردة ونكران الذات والتمسك بالحق والشعور مع الآخرين وتحثه على اتباع الجانب المعاكس .

نظريّة التطوّر :

يقرأ طلبة العلم العالي في بعض الجامعات تفاصيل مطولة عن نظريةٍ علمية افتراضية يقال لها نظرية التطور. وتزعم النظرية ان الانسان نشأ من أصل حيواني كانت تربطه بالقرد حلقة مفقودة، فهو إذاً حيوان ناطق . والأدلة العلمية التي يتذرّع بها مؤيدو النظريّة تتركّز بالدرجة الأولى على وجود خطوط تشابهٍ واضح في شكل

وتركيب الجسم البشري منذ تكوّنه حتى ولادته فيما بينه وبين أنواع الحيوان . ويتمسّكون بدلائل بارزة تربط انواع طائفة واحدة من الحيوانات وكأنّ أصلاً واحداً كان يجمعها في زمن بعيد، ويذهبون في تعليل أسباب الفروقات البسيطة بين انواع الطائفة الواحدة مذاهب شتى ويبالغون في تحليل تأثيرات البيئة والمحيط على وجود الأنواع .

ينسب التطوريون الميزات الفارقة بين فصائل الجنس الواحد من جهة المظهر والغريزة إلى تأثير أحكام الطقس وتقلّبات الطبيعة على مدة طويلة من الزمن في أعضاء الكائنات المذكورة ، ويبنون العلالي على تغيّرات طفيفة في طبائع بعض الحشرات والحيوانات بعد تعرّضها للعيش في ظروف مفتعلة وإرغامها على ممارسة تمرينات معينة .

وهنالك المتحجرات الحيوانية على أنواعها ، وصورُ الحيوانات البرمائية العملاقة المنطبعة على طبقات الأرض الصخرية التي تفتح الباب على مصراعيه للخيال . إذ ان التطوريين يتخذون من آثارها صور الحلقات المفقودة من مسلسل الكائنات المتطورة، وينسبون كل واحدة من

حلقاتها إلى احد عصور ما قبل التاريخ . وهم يروون ان عالماً جيولوجياً اكتشف في احدى الحفريات في كينيا نصف جمجمة بشرية يقدّر عمرها بأكثر من مليون ومئتي ألف سنة . ويوجد مئات من القطع العظمية المتحجرة في أمكنة متعددة من الأرض يعود تاريخ القسم الاكبر منها إلى مُدد لا تنقص الواحدة منها عن مليون سنة على اعتقاد ان العلم يستطيع تعيين العمر .

في الردّ على النظرية :

في الرد على نظرية التطور بصورة مختصرة ينبغي القول أولاً : ان جميع الجهود التي بذلها علماء الحيوان لإيجاد انواع جديدة بواسطة التزاوج وتغيير البيئة والتحكّم بالظروف المواتية لكل جنس — ان جميع هذه المحاولات أصيبت بفشل ذريع .

ثم تبيّن ان مبادىء علم النبات وأوضاع الأشجار والأعشاب ووسائل محافظة كل نوع من أشكالها على ميزاته الدقيقه الخاصة — تنقض الافتراضات التي يُلصقها التطوريون بأنواع الحيوانات والحشرات على خط مستقيم .

ويبدو واضحاً ان كل شجرة أو نبتة أو عشبة تحتفظ بصفات وراثية مميّزة بصورة أزلية .

وفي علم النبات ان معظم الاشجار والنباتات والاعشاب ـ تعتمد أزهارها في إتمام عمليات التلقيح والإثمار على انواع من الحشرات ـ في حين ان نظرية التطور تزعم ان مملكة النبات كانت أول مظاهر الحياة على الارض وانها سبقت مملكة الحيوان بملايين السنين ...

أثبتت المكتشفات العلمية الحديثة في حقل الطب ان في أنسجة الجسم البشري قوة خفيّة تمنح الجسم الواحد ميزة الاستقلال الذاتي عن سائر الأجسام البشرية بحيث يستحيل وصلُ جزء صغير من نسيج منه بجسم آخر . لأن خلايا الأول لا تندمج ولا ترتبط بصلة ثابتة مع خلايا الجسم الثاني بعملية جراحية . لكن الأمر يبدو ممكناً في أجسام الطائفة الواحدة من الحيوانات ، إذ يمكن وصلُ قطعة من نسيج حيوان حي بجسم حيوان آخر من نوعه . مما يثبت بطريقة علمية أن جسم الانسان ذو طبيعة منفصلة كلياً عن طبيعة الأجسام الحيوانية .

هذه الظاهرة كانت العامل الرئيسي على إبطال

مفعول عمليات (زرع القلوب) التي شغلت العـــالم وأوساطه الطبية في العصر الحالي . إذ تبيّـن بعد الجهود الجبارة والتكاليف الباهظة والتضحيات أن الجسم يأبى الالتحام والتعاون مع قلب جسم آخر ليس من طبيعته . وكان الشيء نفسه حدث قبلاً لعمليـــات زرع خصيتي السعدان في الانسان بقصد تجديد الفتوة وإعادة الشباب إلى الشيخوخة . فكانت خيبة مخزية لآمال التطوريين وتقديراتهم التي ملأت أعمدة الصحف العالميـــة الكبيرة وصفحات المجلات العلمية والطبية في جميع أرجاء العالم .

ما يتطوّر وما لا يتطوّر :

تتعرّض مبادىء الحشمة والأخلاق السامية في الجيل الطالع لحالة من الفوضى لم تتعرّض لمثلهـــا منـذ آلاف السنين كما يتبيّـن لمن يراجع صفحات التاريخ . فلقد صار من الصعب على الناشئين أن يميّـزوا بين ما يجوز وما لا يجوز شرعاً ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر .

كأنما شعور نفساني يدفع بهم إلى وجوب الثورة على كل ما يعترض الرغبات والشهوات ، إلى قلب الأوضاع

الاجتماعية القائمة ، إلى هدم الحواجز الأدبيـــة وتحطيم القوانين ، إلى عدم التقيـد بقانون .

المدارس والجامعـــات والمؤسسات العلمية لم تعد تعجيب الطلبة، لأنها تتّبـع مناهج عتيقة ترهقهم من جهة وتلجم حريّـاتهم من جهة أخرى ـ فصار من حقهم أن يشتركوا في وضع البرامج والمنـاظرة وفي تقرير المواد الدراسية وطرق الامتحــــان وأنواعه ، وأخيراً في تعيين المعلمين .

معظم كتب المطالعة والمؤلفات لا تسرّ الخاطر لأن مواضعها لا تسهب في بحث شؤون الحياة الجنسية والحب ومتطلبات الفتوة والشباب في كيفية تمضية أوقـــات الفراغ . .

الصحف والمجلات التي لا تزين صفحاتها البارزة صور النسوة العاريات والممثلات والراقصات وتخصص أعمدتهـا للتحدث عن أخبارهن الخاصة والعامة ـ لا تلقى رواجاً ولا يشتريها أحد . .

أندية السينما والمراقص والمرابع الليلية والستريوهات تغصّ بالناس إلى سـاعـات متأخرة من الليل ـ وغرف

القراءة والمطـــالعات الأدبية والكنائس والمعابد ودور الوعظ والتهذيب وتقويم السلوك ـ تكاد تخلو من الحضور.

كيف نفسّـر هذا الجنوح الخلقي والتهوّر الأدبي من جانب جيل بلغ العلم فيه درجة تـكاد تدرك قمة المعرفة والاختراع ـ أهو تطوّر أم تعثّـر ؟

تتركز نظرية التطوّر على اعتقاد ان الإنسان يسعى دائماً إلى ما هو الأصلح والأنسب والأفضل لوجوده . لكن العادات الاجتماعية المشار إليها ومثيلاتهـا العديدة تؤدي بصورة أكيدة إلى مـــا هو الأسوأ والأشد ضرراً على الإنسان من جميع الوجوه، الأمر الذي يفرض على المراقب الاجتماعي اعادة النظر في ما يتطوّر وما لا يتطور من مظاهر الحياة وحاجاتها بدلاً من ان يأخذ كل مـا يبدو جديداً بعين الاعتبار وينغمس في كل موجة طارئة إلى ما فوق أذنيه .

الحق ومشتقاته ـ الشرع والقانون، العفة والاستقامة والصدق والإخلاص والحشمة ـ هذه الأمور لا تتغيّـر ولا تتبـدّل ولا تتطـوّر بمرور الأجيـــال وتقدّم العلم وظهور الاختراعات والمكتشفات المذهلة. الحق ومشتقاته

شيء روحي أزلي ، والعادات والاختراعات والمكتشفات وغيرها من الظواهر شؤون مادية تظلّ عرضة للتغير والتبدّل .

حق الفرد نحو المجتمع أن لا يتسبب بسلوكه تصرفاته في إنزال الضرر بأحد من الناس.. ان لا يتعدى ولا يتحرش ولا يمس الشعور ولا يغيظ الغير ، بل على العكس أن يكون وفياً أميناً مخلصاً صادقاً رسول سلامٍ ومحبة مجردة في جميع تصرفاته .

حق المجتمع نحو الفرد ان يحافظ على سلامته وملكه وشؤونه الخاصة ويتجنّب مـــا يسيء إليه بصورة من الصور، وان لا يقاطعه لسبب من الأسباب ويجعله يشعر بالعزلة .

صفات وتصرفات مبنيّـة مباشرةً على أسس الحيـاة الجوهرية وشروط قيامهـا : لا تحسد . لا تشتهِ مقتنى غيرك . لا تظنّ السوء . لا تكذب . لا تسرق. لا تقتل. أحبَّ إخوتك ورفاقك كما تحب نفسك .

هذه الأسس الواجبة لقيام الحياة في جميع الأدوار

وعلى مدى الأجيال لا تتغير في شكل من الأشكال ولا يزاد عليها ولا ينقص منها ـ ولا تتطور ...

الذين حاولوا التطاول على شيء من نصوصهـــا من مؤلفي الأنظمة المدنية ومخترعي النظريات التي يناقض بعضها البعض ـ هؤلاء لم يلبثوا حتى وجدوا انفسهم على ضلال بعيد ، وتبيـن لهم بمرور الزمن أنهم تسببوا في إفساد أخلاق الناس بطريقة غير مباشرة، جروا الجيل إلى سيل من المصائب والبلايا الاجتماعية التي نشهد أثرها اليوم على وســـائل التسلية والمرح والخلاعة والرقص والموضة والشذوذ والانحراف والتهور ...

بوجود الله ، ويصعب عليهم الإيمان بأن لوجود الإنسان علة شريفة يمكن التعرّف على أسبابها ومراميهـا بواسطة الكتب المقدسة وآياتها الموصى بها .

الأمر المهم هنا من الوجهة الاجتماعية معرفةُ مـا إذا كان ممكناً للانسان ان يمضي حياة مستقيمة وصالحة اذا كان ملحداً ...

الأمر يستوجب دراسة نفسيّـة عميقة تتناول قرارة الميول الذاتية والرغبات الخاصة التي تتقيّـد إلى حدّ كبير بشهوات الغرائز الطبيعية، لا سيما عندما يريد الإنسان ان يحيا بمعزل عن الأفكار الروحية التي تظل تحاول ان ترتفع به عن مستوى هذه الغرائز. لم يكن الإنسان مقيداً بغرائز الحياة الدنيا اصلاً ، لكنه بعد سقوطه صار اكثر تعرضاً لهـــا وصار حراً في أن يساوي الحيوان أو يترفّـع عنه .

بديهي أن ينزل الإنسان إلى مرتبة الحيوان في غريزته أو تصرفاته تجاه رغباته النفسانية عندما يُدخل في ذهنه انه من أصل حيواني ـ بل ان يصبح اكثر شراهة من الحيوان في مضمار شهواته ، ما دام يتفوق عليه في العقل

والفكر وحدة التصوّر . لذلك قيل : من لا يهاب الله لا يخاف إنساناً ، كما قيل : ان الكافر لا يؤتمن .

ماذا يمنع الإنسان الملحد من تحقيق مراده اذا صفا له الجو وتحقق من عدم وجود ما يعترض شهواته!! لا بد من أن يشتهي أو يغضب أو يحسد أو يعتدى عليه أو يُهان ظلماً أو يُساء الظن فيه ـ فهل يقدر على السكوت؟ وهل يتقبل الصبر اذا كان لا يخاف الله ؟

يشهد التاريخ ان شيئاً من هذا لم يحدث ، وصفحاته مليئة بالأدلة على روح النقمة والقتل والاعتداء والانتقام التي كانت تسيّر اهواء الطغاة المستبدين الذين تحكموا بالناس وهم غير مؤمنين بقوة رادعة .

التطور وعلم التاريخ :

لا خلاف في ان علم التاريخ يشكّل صخرة كبرى تتحطّم عليها افتراضات التطور بصورة مدهشة . لأنه علمٌ يتكوّن من مجموعة معلومات ثابتة مأخوذة من مخطوطات قديمة وحفريات وآثار حجرية ومعدنية تتناول أصل كل أمة من الأمم المتعاقبة وقصص ملوكها وآدابها

وحضارتها ، ومعتقداتها وكل ما كان يفخر به شعبها . وهي معلومات باقية محفوظة بطرق سليمة منذ آلاف السنين ، وقد تم العثور على مخطوطات في كهوف البحر الميت وحفريات سومر وما بين النهرين يرجع تاريخها إلى أبعد من أربعة آلاف سنة .

ان وقائع التاريخ - العنصرية ، السياسية والحضارية - تنطبق في نحو تسعين بالمئة من مراحلها على مـــا ترويه الكتب المقدسة في كل موضوع – من أن العالم المعروف بدأ بمدنية سومر ما بين النهرين ، وبابل القديمة ، ومصر الفراعنة وأشور والكلدانيين والفرس واليونان والرومان وممالك رومية والقسطنطينية والعرب والأتراك .

من الوجهة العنصرية والحضارية يتبين كذلك ان أصل الشعوب يرجع إلى مصدر واحد وجد ما بين النهرين (برج بابل) – مصدر نبت منه ثلاثة فروع : ســـام وحام ويافث – وان لغات العالم المعروفة ترتدّ في جذورهـــا إلى ثلاثة منابع أساسية : السامية والآرية والحاميّـة الافريقية .

قارىء التاريخ المجرّد لا يتجاسر على نكران صحة

الكتب المقدسة عندما نجد الوقـائع التاريخية والسياسية والحضارية منطبقة على شهادة التاريخ العلمية الصريحة التي لا يمكن الشك في صحة مضمونها .

شهادة التاريخ برهان قاطع على صحة ما ترويه الكتب المقدسة من ان الله صنع الإنسان لمقصد سامٍ ، وان قصده سوف يتم على أتمّ وجه في وقته المعين ، وان كل ما يجري حولنا من يوم إلى يوم من حوادث ووقائع مؤلمة ومفرحة ومضحكة ومفجعة - تسير في فلك المقصد الواحد السامي الذي يحوّل كل الأمور بالنتيجة إلى الخير العام لصالح الإنسان والحياة .

محاولات مسخ التاريخ :

تهرّباً من مواجهة أدلة ثابتة كهذه يبذل التطوريون الجهد ويؤلفون المجلدات الطويلة للتقليل من أهمية أزمنة التاريخ وآثاره الواضحة، ويتعلقون بعصور (ما قبل) التاريخ، حيث يتسع المجال للتخمين والتخيّل ثم الافتراضات التي لا تتقيد بأزمنة معينة .

فاذا جئنا بدولة كبرى في مخترعاتها وحضارتها وقوتها

الخارقة وقسنا تقدمها المذهل على عمرهـا الذي لا يتجاوز المئتي سنة ، كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، يغضّـون النظر عن أهمية ذلك ويقلّـون من شأن الوقت.. في حين يتوسعون جداً في التعليق على حـــادث اكتشاف شبه جمجمة متحجرة في كهف في المكسيك (يقدّر) عمرها بأكثر من مليون سنة .

إن التطوريين لا يتحدثون إلا بلغة الملايين ، وقلّـما تقرأ عن جسم عظمي مكتشف ، ذي أهمية بالغـــة في نظرهم ، يقل عمره عن مليون سنة ـ أما القول عن ان عمر أوروبا وعظمتها وحضارتهـــا ومكتشفاتها ـ الذي لا يتجاوز الألف سنة ـ فليس ذا أهمية عندهم .

ما يعترض افتراضات التطور في هذا الشأن هو (مصير) تلك الشعوب الوهمية ـ كيف انقرضت ولماذا ؟ شعوب عاشت عشرات الألوف من السنين واختفت دون ان تترك آثاراً بارزة تدل على ما أحرزت من التقدم العلمي المفروض فيه ان يتناسب مع ما أحرزه عالمنا القصير العمر من المنجزات في نحو ألفي سنة !

ما هي العوامل التي منعت تلك الشعوب أن تتطوّر وتخترع وتكتشف اشياء ملموسة يمكن الاستدلال منها على درجة العبقرية العلمية التي بلغتها ؟

أم نكتفي بفكّ من جمجمة عثر عليه في كهف في افريقيا (يقدر) عمره بمليون ومئتي الف سنة !

بين القوة والحق

المادة والروح :

لكل أمة أو فرد مطاليب ومشتهيات تتغير وتتلوّن وتتعاظم وتتضاءل بحسب الظروف والأوقات ، ويصبح الإنسان في هذا تجاه واحد من أمرين ، فإما ان يستعمل الوسائل المشروعة التي تعتمد جانب العدالة والحق وإما ان يلجأ إلى القوة وهي شرعة الغاب .

ويتضح لكل مراقب مجرّد أن العالم ما برح في الغالب يعتمد القوة ويعتبرها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الغايات رغم ما بلغ من التقدم في العلوم والفنون .

لذلك كنّا نرى الإنسان منذ أول فجر التاريخ، وما

نزال نراه : يكرّس كل مواهبه ونشاطه لأجل تحسين وسائل القوة ويحسب المتفوّقين فيها أهلاً لكل تكريم .

في البدء اعتبر حَمَلة الأثقال الكبيرة من الرجال في منزلة الآلهة ، متحدّرين من أب جبار (إله) كان بامكانه ان يحمل الكرة الأرضية على كتفه .

ثم جاء دور ضاربي السيف الأبطال الذين خلّدهم علم الأقدمين في التماثيل الذهبية .

وجاء دور الرماة ورجال القسيّ الذين ما برحت قصص بطولاتهم تملأ الكتب المدرسية ومناهل الأدب في جميع اللغات .

ومن يتعمق في دراسة أدب اللغات الأجنبية يدرك كم كان (للفرسان)، لدى الملوك والحكام في القرون الوسطى من قيمة ونفوذ .

باختراع البارود والمدفع زال مجد السيف وضاعت عبقرية الفرسان واتجهت القوة في مجرى آخر ما برحت تنتهجه حتى الآن ـ مجرى استعمال الآلة بدلاً من الجسم.

ودفع الحكام والسياسيون العلماءَ للتقدم ما استطاعوا في مضمار الآليات المهدّمة ، ووضعوا تحت تصرفهم كل

الامكانيات المادية والفنية . فظهرت المدافع البعيدة المدى والدبابات على انواعها والأساطيل البحرية والطائرات .

وانصرف عباقرة العلم إلى تحسين وســـائل القوة الميكانيكية الحربية، وكانوا يتلقّـون من أجل مبتكراتهم تمجيد الجماهير حتى قيل إن الشهرة التي حظي بهـا أول عابر للمحيط الأطلسي في طيـارة « لندبرغ » لم يحظَ بمثلها رجلٍ من قبل .

ان النُـصب والتماثيل الفخمة تملأ اليوم ساحات المدن الأوروبية الكبيرة تخليداً لذكر هؤلاء(الأبطال) وتشجيعاً للناشئين على الاقتداء بهم .

والواقع ان كل الاختراعات الآلية المدهشة التي يتمتع بها الناس اليوم لم تبتكر في الأصل إلا لمقصد حربي، وكان آخر مكتشفات الحرب العـــالمية الثانية تفجير ذرات الأورانيوم لإنشاء القنابل الذرية واطلاق الصواريخ المبيدة .

وبينما يتحدث ممثلو الدول الكبرى عن انـ الذرة للسلام ، تنصرف الحكومات إلى تحسين وتطوير القنابل الذرية وتخزينها لليوم العصيب . وقد صرّح نائب عمالي

في مجلس العموم ان بريطانيا تملك الآن اربعمئة قنبلة هيدروجينية تكفي وحدها لاحراق الكرة الأرضية ، هذا مع العلم ان بريطانيا تعتبر دولة ثانوية فيقوتها الذرية.

كذلك يجري اتقان الصواريخ وتنظيم سيرها وضبط مداها إلى جانب مؤتمرات السلام وخطب المجاملة المتبادلة بين الرؤساء والأقطاب .

وهيئة الأمم مكتوفة الأيدي تعجز عن ايجاد أي أساس للاتفاق على نزع السلاح كما كانت تعجز عصبة الامم قبلها .

وآخر الأمر أطل علينا العلماء بمحاولات الانطلاق نحو الفضاء لاكتشاف الأسرار المحيطة بالكرة ، ومن ثم (غزو) العوالم الأخرى ...

كل هذا جميل ومدهش من حيث اللفظ والمظهر – لكن ما هي الفائدة الحقيقية من تمكّن أحدهم من زيارة القمر ومن الهبوط على سطح المريخ ؟

يقولون المجد والكرامة للعلم وللعلماء الذين تمكنوا بعبقريتهم الفذة من اختراق الفضاء واتقان هذه الأعمال الجبارة ...

أية مجاهل اكتشفت ؟

الكرة الأرضية توازي بزرة تدور حول رأس بطيخ هو الشمس ... والشمس حبة برغل من كيس زنته مئة كيلو من البرغل هو المجرّة ... والمجرّة كيس من ألوف الأكياس المدّخرة في مستودع ضخم هو الكون ...

ما فائدة العلم من رجل يدور حول الأرض في كرة تكلف خزانة الدولة مئة وخمسين مليون دولار ؟

تصفحوا التاريخ وتأملوا بالأمجاد الغابرة التي هلّـل لهـــا الأقدمون فإذا بها بين ليلة وضحاها من أسخف السخافات ...

مادية الغرب اليهودية

تتصف شعوب القارة الأوروبية وأميركا بمدنيّة مادّية بشكل لم يسبق له مثيل في أي زمان أو مكان من العالم ، المادّية بوجهيها المعروفين ـ القوة والمال .

يروي التاريخ ان جماعات بني اسرائيل اخذت ترحل عن الشرق هرباً (أو نفيـــاً) بفعل غزوات ملوك آشور وبابل منذ سنة ٧٠٠ ق . م وما بعدها ـ نحو الشمال ومن ثم نحو الغرب ـ تركيا والبلقان .

كانوا شعباً مثقفاً وذكياً جداً بالنسبة إلى قبائل اوربا البربرية في ذلك الوقت ، مزوّدين بحكمة الشرق وخبرة مئات السنين من مراحل مدنيته الرفيعة .

فانخرطوا وسط جماهير قبائل اوربا وتسلّلوا إلى

ميادين الصناعة والتجارة والعمل البنّاء فكانوا المجلّين في جميع الميادين . وبمرور الزمن استقرت أكثر المراكز الحساسة والدوائر المالية في أيديهم ، وبسبب تمسكهم بعصبيتهم الخاصة وأصلهم الديني لم يندمجوا في عصبيات الشعوب الاخرى بل على العكس كانوا يتوخون تقاتل العنصريات الغربية وتطاحنها لتزداد أرباحهم ويشتد ساعدهم .

اعتنقت أوربا المسيحية القائمة على تعاليم روحية إنسانية تأمر بالتعبد ونكران الذات ومحبة الغير . لكن مادّية الغرب اليهودية وأثر التقاليد الوثنية المتأصلة في شعبه لم تلبث حتى أفسدت مفهوم المسيحية* وأبطلت مفعولها . فانقسمت على بعضها طوائف متناحرة متقاتلة ذهبت بأرواح مئات الألوف من الناس وولّدت تربة خصبة لنمو الأفكار الملحدة ونظريات فلاسفة التطّور وذهب المصلحون من المفكرين إلى وجوب فصل الدين عن الدولة . إلى جانب هذه العوامل ساعدت مادية الغرب على تطاحن الدول الكبيرة سعياً وراء المال حتى اخذت الأزمات الاقتصادية تجر الويل والبؤس وضاق الناس

* عن المسيحية الشرقية والسليمة .

ذرعاً بسبل العيش . فكان لا بد من إيجاد حاول لتلك الأوضاع فنشأت فكرة الاستعمار التي بدت حلاً جيداً .

انصرف المفكرون أيضاً يعنون في الدرس والتحليل، على أسس مــادية أيضاً ، وطلعوا بنظرياتهم السياسية والاقتصادية المعروفة بتناقض مبادئها وأهدافها ـ الشيوعية من جهة والقومية العنصرية من الجهة الأخرى ، الديموقراطيه ، الجمهورية والملكية ، الاشتراكية الوطنية والاشتراكية العالمية ، العلمانية والراديكالية المتطرفة والمعتدلة .. إلخ .

تألفت الأحزاب وتكتلت حول هذه المبادىء المادية المتناقضة وسار التنافس الحزبي والعقائدي جنباً إلى جنب مع التنافس المالي والسياسي . كان لليهود الأثر الأكبر في كل ذلك، سواء من جهة تأليف المبادىء والأحزاب أم من جهة تقويتها وتوجيه سياستها لتشكيل الحكومات ووضع برامجها وغير ذلك .

ثم تبين أن الاستعمار ليس حلاً صحيحاً لانفراج أمة على حساب أمة أخرى، وأنه لا يصلح لإزالة أسباب الأزمات

الاقتصادية ودفع عوامل الفقر والشقاء. وذلك لأن تأثيره مؤقت .

ظهرت مشكلة أخرى كانت مشكلة المشاكل ـ وهي التنافس على المستعمرات .

مبدأ القوة

لم يكن الاتكال على المادة ، والحرب لأجل المـادة ، والسعي وراء المادة والتحليل المادي ـ لم تكن هذه الأمور مهيمنة على التفكير عندما كان زمام العالم بيد الشرق .

كانت الحروب والغزوات تقع من وقت لآخر ، لأسباب روحية ، فكان لا بد من قيام استعدادات دائمة وتحصينات وقائية حول المدن والجماعـــات ، لكن مرد العدوان كان يفسَّر في الأكثر بغضبة الآلهة على أخطـاء الشعب ، والهزيمة تُعتبر نقمة من الله .

فالغازي كان يندفع بعـــامل روحي والمنهزم يقبل الهزيمة كعقاب .

لم يكن يشترَط أن يكون المنتصر مؤمناً والمغلوب

ملحداً وشريراً ، بل ان النصر يؤتيـــه الله للأصلح والأنسب من الوجهة الروحية .

فالعالم ترعاه مشيئة عليا وتوجه شؤونه طبقاً لمرامي أدبية روحية قلّما تدركها عيون الناس .

ذلك كان الرأي السائد والمقبول دائماً وأبداً في الشرق، وبموجبه كان يجري كل تفكير وكل نشاط وكل استعداد سواء كان من جانب الملوك والحكام أم من جـــانب الجماهير .

كثيراً ما كانت الحروب تنتهي على غير ما يتطلّبـه الواقع العسكري .

يقـع الذعر أو المرض أو التآمر في صفوف الجيش الأكبر والأتم استعداداً ـ فينتصر الجيش الأصغر على أهون سبيل ، وأدلة ذلك في التاريخ عديدة ومدهشة .

أما الآن فإن الاعتبارات الروحيـة لا قيمـة لها ولا وزن ، ولا يحسب أي حساب لمشيئة تلك العنـاية العليا التي أوجدت الإنسان وما زالت ترعاه .

فالعصر عصر المادة في جميع صورها وأحكامها ـ

عصر القوة المنبثقة عن العلم ، التي تطلُع كل يوم بنظرية جديدة وسلاح أقوى ..

ولما كان مبدأ القوة ينص في مضمونه على أن القوة لا يحدّها حدّ .. فإن العمل في ميدان اختراع ما هو (أقوى) لا يتوقف عند حد .. ولا بد أخيراً من اكتشاف تلك القوة التي يكون في مقدورها إتلاف العالم كله وإحراق الأرض :

تلك هي الحقيقة الثابتة والنتيجة الحتمية التي توصلت إليها العبقريةُ البشرية أخيراً بواسطة (العلم). وقد تنبأت عنها الكتب المقدسة منذ آلاف السنين .

العلم والسلام

لماذا لم يقدم العلماء خدمات تذكر لقضية السلام مع انهم قدموا الكثير من الخدمات للقضايا الأخرى ؟

كم قدّم العلم من التحسينات على وسائل النقل والحراثة والصناعة والطعام واللباس ووسائل التسلية والكيف ، فكيف لم يقدم شيئاً لأهم ما يهمّ النفس البشرية وهو أمنها وسلامتها ؟

ذلك لأن العالِم لا يستطيع أن يبرع في ميدان علميّ هام بوسائله الخاصة ، ولئن حدث وتمكن أحد من النبوغ في مادة علمية فإنه لا يلبث طويلاً حتى يجد نفسه مضطراً لمعونة مادية يقدمها الصناعيون والماليّون والسياسيون والحكام مقابل مصالح مادية خاصة .

لا ينتظر من الماليين والسياسيين والصناعيين أن يقدموا مساعدة مادية لعالم يرمي إلى تكريس نبوغه لخدمة التهذيب الروحي والأخلاق ..

فالعالم العبقري إذن ينبغي أن يضع نبوغه تحت تصرف الماديين في غالب الأحيان .

إما لتحسين معدات الصناعيين لزيادة الأرباح ..

وإما لاختراع وسائل جديدة للماليين لتوظيف الأموال ..

وإما لخدمة الدولة في حقل السياسة والاستعداد للحرب .

راجعوا تاريخ الأدوات المعدنية والآليات فتجدون أن أول وأدق الأدوات المعدنية كانت السيوف والتروس ، ثم القسيّ والأسهم الفولاذية .

وأحسنُ العربات والجرّارات أنشئت في الأصل لمقاصد عسكرية ، ثم تحولت بعدئذ للخدمات المدنية .

انصرف العلم قبل كل شيء إلى اكتشاف مادة البارود المتفجّر ، وأخذ يتقن آلات تفجيره حتى توصل إلى البنادق السريعة الطلقات والمدافع البعيدة المدى ..

وكان المقصد الأساسي من الطائرات هو ضرب العدو من الجو ..

من هنا توجه الاختصاص العلمي نحو اكتشاف القنبلة الجوية الأعظم قدرة على التخريب ـ فكانت النتيجة التوصل إلى تفجير الذرة وصنع القنبلة الذرية المعروفة ـ في ختام الحرب العالمية الثانية ..

السباق العلمي يجري الآن على قدم وساق بين الكتلتين المتنافستين ـ الدول الغربية والاتحاد السوفياتي ـ لإتقان صنع هذه القنابل وتخزين العدد الأكبر منها ..

في حين أن الحديث عن السلام ومؤتمرات السلام يصمّ الآذان ، والقول ان الذرة للسلام ، والعلم للسلام ! يملأ الأسماع ..

لكن العلم لم يكن في وقت مضى إلا للحرب ..

والذرة لم تكن إلا للحرب .. هذا هو الواقع المؤسف !

لقد كان في وسع العلم والعلماء أن يقدّموا للعـــالم الكثير من الخدمـــات في خلق وسائل جديدة ومواد جديدة للكساء والغذاء والخير والسعادة للبشر ، لو أنهم عملوا على أسس أدبية روحية أخلاقية منبثقة من أنفس مؤمنة بالآخرة .

الأدباء والسلام

هل يستطيع الأدباء (المؤلفون والكتاب) العمل بتجرد على تهذيب الأنفس وبالتالي تأدية خدمة فعـــالة لقضية الأمن والسلام ؟

لا يكاد الكاتب يشق طريقه الشائكة حتى يجد نفسه تجـــاه أحد أمرين : إما أن يساير ذوق جمهور القراء ويماشي رغباته، أو أن يضع نفسه تحت تصرف السلطات القائمة من مالية وسياسية ، ويخدم مصالحها المتعددة ..

أو أن يستبد بآرائـه ويتمسك بمعتقـده فيموت في مهده .

صحيح أن لسلاسة التعبيـر وحسن الأسلوب قيمـة تذكر فى نظر القارىء، لكن الموضوع هو الذي يتحكم في النهـاية .

نرى أكثر الأدباء يميل إلى مماشاة ذوق الرأي العام او رأي الأكثرية من الناس لأجل رواج الكتب والمؤلفات المنشورة ، لأن أهمّ ما يهم المؤلف هو أن يرى كتبه تباع وتنتشر بسرعة في أوساط الشعب ، أما التأثير الأدبي والخلقي الذي قد يترتب عليها فقلّما يحسب له أيّ حساب.

ولما كانت الأكثرية الساحقة من عامة الشعب تميل في الغالب إلى الميوعة والطيش والبطر والملذات ، كما يشهد بذلك الواقع وكما يتبين من شهادة الكتب المقدسة وسجلات التاريخ ، صار على الأدباء ـ كيما يحظوا بتأييد الرأي العام وإقباله ـ أن ينصرفوا بكل عبقريتهم إلى تأليف القصص الغرامية والروايات البوليسية والتمثيليات القائمة على المكائد والمؤامرات وسفك الدماء في سبيل الشهوات الحيوانية .

مؤلفات كبار الكتاب لا سيا في الغرب موجودة في المكاتب تحت نظر كل مراقب وبعضها ما زال يُستعمل في الكليات والجامعات للتخصص فيما يسمى بـ(آداب اللغة) ـ فما على القارىء إلا أن يلقي نظرة على مواضيعها ليتأكد من صحة هذا القول .

تصوّرْ أن كاتباً أخذ على عاتقه في هذا الجيل مقاومة موضة الرقص النصف العاري والزواج المدني وأخذ يبين للناس في أسلوبه السلبي أن معظم عاداتهم الاجتماعية تخالف التعاليم الدينية وأصول الأخلاق، كانشغالهم بالتغني بملكات الجمال ونجوم السينما وكواكب الأفلام .. ماذا يكون مصيره ؟

أية مجلة أو صحيفة ـ سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم علمية ـ تحظى بإقبال الرأي العام على مطالعتها إذا لم تتوج صفحاتها الظاهرة بالصور الخليعة وأقاصيص رجال الفن ، وتتزيّن بأخبار الممثلات (النجوم والكواكب) ؟

الموهوبون والسلام

في كل جيل فئة من الناس موهوبة تتمتع بقوى عقلية خارقة وبذكاء فارط، يؤهلها لتبوُّءِ مركز القيادة في كل وجه من وجوه النشاط البشري ساعة تشاء ..

فالحق والواقع يتطلبان من هذه الفئة الموهوبة من الناس ، أن توجه عجلات المجتمع نحو الاستقامة وتقويم

الأخلاق ، ونبذ عوامل الفساد ، وأن تقود الناس إلى أسباب المحبة والعدالة والزُّهد . لكن الأمر لا يلبث حتى ينقلب إلى العكس ...

إن الموهوبين من الناس يلمسون سريعاً بحكم ذكائهم أنه لن يكون في وسعهم تقويم الاعوجاج ومقاومة التيار، فمن من الأنبياء ورجال الله والقديسين والمصلحين حاول ذلك ولم يلقَ الاضطهاد والخزي والموت ؟ فيتحولون نحو أنفسهم قائلين : إذن لننصرف إلى استغلال طيش الجماهير الشعبية وإلى الاستفادة من جهلها ما دمنا في عالم لا يقدِّر غير المال والشهرة والنفوذ ..

ولئن كان عند القليل من هؤلاء شيء من سمو الأخلاق ومن نكران الذات وحب الحق فإن العلم الذي يتلقونه في الجامعات ، وأكثرها علمانية ملحدة ، كفيل بالقضاء عليه واستبداله بسفسطات الفلسفة المادية ..

على هذا الأساس تؤسس الأحزاب وتؤلف الكتب وتنشر الصحف والمجلات وتشيَّد المباني والقصور وتبنى المقاهي ودور السينما الفخمة ..

تنشأ كلها من أجل الشعب ولخدمة الشعب وباسم

الشعب.. والهدفُ الحقيقي لا يتعدى دائرة المصالح الذاتية وجرّ المغانم ..

من يدرس الطب لأجل أن يتمكن من مداواة المرضى وتخفيف آلامهم في سبيل الانسانية ؟

من يصدر جريدة أو مجلة لمجرّد نشر الأخبار الصحيحة وإطلاع الناس على الحق ؟

من يسعى وراء الوظيفة كيما يتمكن من خدمة الشعب وإنصافه ؟

من يدرس المحاماة لتتاح له الفرصة لكشف الحقيقة المجردة ؟

لقد تبيّن أن معظم القائمين على أعمال الخير ومشاريع البر والاحسان وأعضاء مجالس الأمناء ـ إنما يقومون بذلك سعياً وراء المجد العالمي ـ الشهرة والمال والنفوذ..

كيف يستقيم المجتمع ما دام رؤساؤه وحكماؤه آخذين في استغلال طيشه والاستفادة من جهله ؟

يقولون سلام ولا سلام

الفقر عدو السلام

لم يكن على الأرض أحب للناس من موضوع السلام منذ فجر التاريخ إلى الآن .. كان أملَ الشعوب وهدف الحكام وغاية المصلحين . كان محور كل فكرة ومرمى كل نظرية وروح كل رسالة . غير انه بقي حلماً ولم يتحقق منه شيء بالنسبة إلى غيره رغم ما بذل في سبيله من جهود. وعلى الرغم من مئات المكتشفات العلمية التي حققت أكثر أحلام البشر في شتى الميادين : ظل خطر العدوان يعكر صفو الحياة كما كان يفعل دائماً . تخلّص الناس من أكثر الآلام الاجتماعية والصحية بفضل التقدم العلمي .. وتحقق لهم من أسباب الراحة والتنعم بالملذات ما لم يكن

يخطر لهم على بال ، وتحرروا من كثير من الأخطـار : ما عدا خطر الخوف من الحرب .

قضية السلام تبتدىء بنقاط صغيرة جداً في كيان الأمة تشبه الخلايا التي يتكون منها جسم الانسان، بعكس ما يعتقده الساسة المحترفون . هذه الخـــلايا هي الأفراد وعائلاتهم التي تكوّن الأمة . فمتى ساد السلام عائلات المجتمع بنسبة عالية ، قلّـت أسباب التذمر والشكوى والعـدوان والاضراب . ومتى دبّ الخلل في كيان العـــائلات وفقدت السلام ، تقوم أسباب الثورات والانقلابات المؤدية إلى الحروب .

فالقضية في مجموعها تتوقف على مقدار الطمأنينـــة الكامنة في خلايا المجتمع وتتبلور في نسبتها إلى المجموع .

أما المبادىء السياسية والمناهج الادارية التي يلوّح بها الحكام فإنها ثانوية .

متى توفرت أسباب المعيشة وتأمنت السعادة البيتية عند الأكثرية الساحقة من أفراد الأمة ، يصير من الصعب بل من المستحيل قيام ما يعكر صفو السلامـة العامة .

وسلام العائلة يتوقف على مدى تمكن رب البيت من تأمين حاجاتها الضرورية وتوفير رخائها وحمايتها من اعتداءات الغير. أما الشق الأول فيقوم على نشاطه الخاص وحسن أخلاقه ، وأما الشق الثاني فيتعلق بنشاط جيرانه وأقرانه ومقدار نجاحهم في تأمين ما يحتاجون إليه .

العالم مجموعة أوطان أو قوميات ، وكل وطن او قومية مجموعة كبيرة من الأفراد، ولكل فرد عائلة ذات حاجات ضرورية تمتد ضمن دائرة محدودة تمثل مجالها الحيوي للحياة ، فأمن الفرد في عائلته يشترط تأمين حاجاتها الضرورية ومجالها الحيوي. ومتى تحقق ذلك لكل أفراد الأمة تحقق الأمن الجماعي فيها معنوياً وقلّت أسباب الشكوى . وكلما تعذر تأمين هذه الحاجات وضاقت دوائر المجال الحيوي وشحّت المداخيل واصيبت العائلات بكثير من الحرمان ـ أصبحت المجموعة عرضة للثورة والتمرد عند أول بادرة . على هذا الأساس يسقط الحكام وينهض غيرهم وتقع الانقلابات وتنتشر المبادىء العديدة . من أجل تخفيف وطأة الأزمات ومواجهة

غضبة الجماهير تُتبع وسائل القمع والضغط في الداخل وتنبث عوامل الاحتكاك بالخارج والاعتداء على الجيران. العامل الاقتصادي محور تدور حوله جميع أسباب سلامة الفرد والعائلة والوطن والعالم ، والفقر والحرمان والخوف هي العناصر الثلاثة التي تولد الأزمات الاقتصادية والسياسية وتبث الفوضى . والقلق والاضطراب والاضراب -فيما نراها- ترتد إلى عوامل نفسية وروحية تفرضها بعض العادات الطارئة ووجهات النظر الأخلاقية وقيم التهذيب الروحي . درج أكثر الحكام والمصلحون على معالجة الأزمات بالمذاهب الاقتصادية والسياسية المتعددة القائمة على نظريات مادية حسابية غير روحية كمن يعالج المريض بالمخدرات حتى يموت . ان الفصول التالية تبين كيف فشل حكام العالم حتى الآن في حل المشكلة بوسائلهم الخاصة واجتهاداتهم العلمية .

الديموقراطية والسلام

الديموقراطية تعني النظام البرلماني الذي انتجته الثورات الشعبية في الغرب منذ أوائل القرن التاسع عشر . هذا النظام يحاول حصر جميع السلطات بيد ممثلين ينتخبهم الشعب بكامل حريته ويهدف إلى جعل الأمة مصدر قوة حكامها، باعتبار أن هؤلاء لا يستطيعون سن قوانين تلائم الصالح العام دون موافقة البرلمان ممثل الشعب . الفكرة من أساسها ترمي إلى جعل أفضل عناصر الأمة تتبوّأ كراسي النيابة عنها ووضع الأمور العامة في أيدي أفراد الشعب . غير أنه كان يتبين بعد تجارب عديدة ـ أن النظام المذكور لا يكفل إيصال أفضل عناصر الأمة إلى مقام النيابة، وأن العناصر الشريفة

والمخلصة قلّما تتمكن من بلوغها ـ لأنها لا تنشأ متمسكة بالمال حريصة على تكديسه . وتبين أن للمـــال القوة المباشرة في ميادين الانتخـــاب وأنـ غير الماليين لا يستطيعون مجاراة الماليين في الوسائل التي يتطلبهـــا النظام البرلماني .

النظام البرلمـاني الديموقراطي يظـل عاجزاً عن أداء مهمته على الوجه الأكمل في رفع أفضل عنـاصر الأمة إلى مقام النيابة لسببين رئيسيين :

أولاً سيطرة المـــال ومقـداره على الفئات البسيطة والمتوسطة من المقترعـــين (إذ أنه يستطيع تكييف المجاري اللازمـــة التي تجعل من غير الصالح صالحاً ومن غير المناسب مناسباً) . ان المنافذ التي يتمكن الواحـد من أفراد الشعب اعتمادهـا لتكوين ثقته بأحـد المرشحين تظل خاضعة لمن يملك القسم الأكبر من المـال عن طريق الدعاية . بموجب ماذا يحكم الناس بأفضلية هذا على ذاك من المرشحين ؟ ان أكثريتهم الساحقة لا يمكن أن تكون على علاقة شخصية بواحـــد منها ، فلا تتمكن من الحكم بموجب (خبرة) سابقة ـ فتحكم حسبما تقرأ عنـــه في

الصحف والنشرات والإذاعة (التي تتوقف قوتهـــا على المال) وعلى وسائل الإغراء العديـــدة وجهود السماسرة والوعود والهدايا .

نظريات متناقضة :

رأينا في الفصل السابق كيف أن النظام الديموقراطي البرلمـاني الذي مارسته معظم الدول الغربيـــة في القرن التاسع عشر عجز عن القيام بالمهمة الموكولة إليه في حماية المصالح العامة وتمثيل رغبات الشعوب على أكمل وجه ، كما صار أداة يتلبّسها الماليون ويستعملونها وسيلة للسيطرة على الحكومات وتسييرها لخدمة المطامع الخاصة.. صارت أكثرية المجالس النيابية تتألف من كبار الماليين وأعوانهم وصار على هؤلاء أن يشكلوا الحكومات كي تخدم مصالحهم وتحمي ثرواتهم . فأخذت الأزمـات الاقتصادية تأخـــذ بخنـاق بعضها والثورات والإضرابات تهـدد السلطات في كل مكان ، فتنصرف الحكومات إلى تهدئة الشعوب بفتح الأسواق الجديـــدة للاستعمار حيناً وإثارة الحروب العدوانية حيناً آخر . وقد تمكن اليهود في هذه الأثناء

وهم يؤلفون أكثرية الماليين في اوروبا وأميركا ـ من تشكيل شبكة مالية عالميــــة تستطيـع الضغط على أية دولة تشاء وتستطيـع خلق الخلافات الدولية عندما تريد .

يتبين من خلال هذا الواقع أن الماليين يحتكرون الكراسي النيابية سواء كانت هذه الكراسي اشتراكية أم ديموقراطية أم راديكالية أم محافظة ، وأنهم يتظاهرون بتأييد ما يشاؤون منها حسب اتجاهات الجماهير الحائرة الضائعة في تفسير أسباب الفقر والأزمات . وسواء كان اعتنــــاقهم هذا المبدأ أم ذاك مخلصاً أو غير مخلص فإنهم منتهون إلى النتيجة الواحدة : إنهم لا يستطيعون عملاً أساسياً يقلب مقتضيات الواقع الاقتصادي باعتبارهم ماليين (والصالح المالي) غير قــــابل التجزئة . إن المبادىء الجديدة في الغالب من اشتراكية وغير اشتراكية تحظى بتأييدات كاسحة من جانب الجماهير ، لا سيا إذا كانت تعلل أسباب الفقر والحاجة باختلال في الأنظمة القائمة ، فيبادر الماليون أيضاً إلى التمسك بها كيا يتسنى لهم حماية مصالحهم من جهة وكسب تأييد الجماهير وعطفهــــا عند الانتخابات أو بعد الانهيارات . فمتى تم لهم ذلك يقومون

ببعض إجراءات سطحية وحركات مسرحية إلى أن يأتي دور غيرهم . ويرى الناس أن إلغاء امتياز الشركات وتأميم الصناعات الكبيرة لم يقطع دابر الأغنياء ولم يرفع الفقراء ولم يوزع المال ولم يزل أسباب الحاجة والأزمات .

وقد توضح أن المبادىء الاشتراكية في مجموعها تصطدم في النهاية بشرط أساسي من شروط حقّ الحياة وتلغي مفعوله: هو حرية الفكر والعمل. والعجيب أنه عند هذا الشرط تتفق شرعة الدين للمرة الوحيدة مع شرعة نظرية التطور القائلة بوجوب حرية : تنازع الحياة لبقاء الأصلح !..

إن نظرية تنازع البقاء لدوام الأصلح تقتضي التزاحم الحرّ في ميادين الفكر والعمل لأجل بلوغ الأنسب في جميع الأمور. فحيث لا تزاحُم حر وتسابق نحو الأفضل لا يتسع المجال لأي تقدم في أي شيء - بل يصبح الجميع مضطرين بحكم القانون لاتباع خطط مرسومة بصورة أوتوماتيكية . إن طبيعة الانسان لا تدفعه إلى إجهاد الفكر والعمل ما لم يشعر بحاجة وبمزاحم قد يسبقه . هذه القاعدة تبرر حسب نظرية التطور كل تقدم أحرز

الجنس البشري في ميدان الحياة منذ أول فجر التاريخ إلى الآن . وهي تندمج مع مفهوم التعاليم الدينية القائلة بحرية الفكر والقول والعمل ضمن الناموس . لكن الاشتراكية تريد أن تمنع مفعولها ثم تزعم أنهـــا مبدأ تقدمي ...

هذا الفشل أثار الحـيرة والأسى في قلوب المراقبـين المجرّدين في شؤون الحياة. وهذه الذهنية المادية كانت التربة الصالحة لنشوء ونمو المبـادىء الاشتراكية المتنوعـة التي تحاول تحقيق السلام وتأمـين العدالة الاجتماعيـة بسلسلة من الأنظمة الاقتصـادية المرتكزة على قواعد حسابية . وكان بديهياً أن تتفرّع الاشتراكيـــة إلى عدة مذاهب مختلفة ما دامت قد اعتمدت أوجُـه النظر المـادية أساساً لمعالجة القضايا . إذ أن وجهة النظر المادية ينبغي أن تماشي افتراضات واستنتاجات منطبقة على التطورات الصناعية والزراعية بالنسبة للمدخول، وهذه لا تقع تحت حصر - لأنه كل يوم يطلع العلم باكتشافات جديدة وحالات مفاجئة تقلب الاوضاع السابقة . فهنالك اشتراكية دولية ترمي إلى تأسيس شبه تحالف أو اتحاد دولي بين الدول

التي تعتنق النظرية في منع الاحتكارات الصناعية والزراعية الكبيرة ومنع احتكار المصالح العامة (منح الامتيازات) من قبل الأفراد أو الشركات الخاصة .

وهي لا تقر أي تمييز عنصري لجنسية على أخرى .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأحزاب الاشتراكية التي تعتنق هذا المذهب قد تسلمت الحكم في كل من فرنسا وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية على عهد الوزير (شترسمان ــ بريان) ، لكنها لم تستطع تنفيذ شيء من ذلك ولم تنجح في إزالة حتى سوء التفاهم وسوء النية . ولم تكن الأحوال الاقتصادية أحسن حالاً ، لأن فرض الرقابة على الصناعات الخاصة أضعف قوة اندفاعها فصارت تتراجع فاتسع نطاق البطالة وتعاظم العجز الحكومي فتدهورت قيمة النقود المتداولة وتضخمت . وظلت الأزمات تتلاحق والحكومات تتساقط حتى تغيرت أوجه النظر إلى (الاشتراكية) عند عامة الشعب . فظهرت الاشتراكية الوطنية والعنصرية (النازية) في ألمانيا ، وقابلتها عودة الراديكالية المحافظة في فرنسا . ثم فشلت (عصبة الأمم) في مهمة نزع السلاح تدليلاً لحسن

النية بسبب تصلب هذه الحكومات (الاشتراكية)، وهكذا عادت ألمانيا النازية تبرر تسلحها من جديد .

والشيوعية نوع من الاشتراكية لكنها متطرفة تلغي حق الفرد في الملكيـة الخاصة وتعتبر جميع أفراد الأمة مسؤولين في أعمالهم كموظفـين تابعين للدولة ، التي يؤلفها الحزب الشيوعي بصورة دكتاتورية تتخذ من وقت لآخر حملات تطهيرية واسعة النطاق تذهب بارواح الألوف من أفراد الأمة نتيجة الصراع الداخلي الدائم بين أقطـاب الحزب من أجل السلطة . ولما كان إلغاء الملكية الخاصة من صغيرها إلى كبيرها يخالف نظام الحياة الطبيعية كانت الشيوعية تتوقع التمرد على الدوام ـ فتحتاط وتحتمي بجهاز بوليسي إرهابي لا يكل. وبينما تزعم أنها ديموقراطية تقدمية نراهـــا تسلب الفرد حرية تفكيره أيضاً وتقيد حركاته وسكناته ، وتنكر وجود الله ولا تعترف بشيء غير منظور، وتذهب فتتبع النظام البابلي الذي كان يعتبر جميع أفراد القبيلة عمالاً يشتغلون ويجاهدون من أجل الملك الذي يعود بدوره ويوزع (الانتـــاج) عليهم بالتساوي.. وبينما هي تؤمن بإلغاء الفروق والميزات القائمة

بين طبقات المجتمع الرأسمالي ـ ترجع من الجـانب الآخر فتمنح أعضاء الحزب الشيوعي ولجانه المركزية من قوة النفوذ والامتياز ما لم يكن يحلم بـــه أمراء الأسر الاقطاعية .

وقد تبين بجلاء أن الشيوعية لم تتمكن من بسط الشعور بالسلامة العامة والسعادة الخاليـة من الخوف في وقت من أوقاتها . لأنها لا تقدر أن تنزع حب السيطرة والتسابق على النفوذ من قلوب القـادة والمتنفذين ، لخلو فلسفتها من هيبة الشريعة الأدبية .

إن الروحانية تستطيع في كثير من الحـالات عند القادة والمترعمين المؤمنين ـ إيقاظ الضمير الرادع خوفاً من الله والآخرة . فما من قوة تستطيع منع الحاكم بأمره من التمادي في قسوته وبطشه إلا قوة الإيمان بالله والخوف منــه .

يروي التـاريخ كيف أن الحكام المؤمنـين كانوا يترددون كثـيراً قبل الإقدام على فتوحـاتهم وحملاتهم القاسية خوفاً من الآلهة، فيؤجلون العمل حيناً ويبطلونه حيناً آخر وينتحـلون مئـات الأعذار المبررة الآيلة إلى

تخدير الضمير وإرضاء الشريعة الروحية ـ في النهاية . يُظهر الانسان الكثير من التسرع والانزلاق عند التعرض لمواقف خطيرة حازمة وهو مقيد بنصوص الشريعة الروحية ـ فكيف به إذا أفلت من هذه النصوص .

تهدف الشيوعية نظرياً إلى اصطناع مساواة حقوقية مادية في المجتمع متركزة على توحيد المداخيل : في سبيل منع استغلال الانسان لأخيه ومنع تكدس الثروات الخاصة نتيجة حرية العمل ـ فتحل (الدولة) محل الفرد في استغلال الانسان لأخيه الانسان . وبدلاً من أن يصبح نجاح هذا معلقاً على مشيئة سيده أو على نسبة تفوقه على رفاقه في مضمار العمل الحر ـ يصير مقيداً أبداً بهيئة حكومية جامدة تمنع حريته وتحد اندفاعه ـ فأي الاستغلالَين أفضل ؟

وتهدف إلى إزالة الفروق الاجتماعية الراجعة إلى (الغنى والفقر) فتقسم المجتمع إلى (طبقات) يوجهها العمال باعتبار أنهم المصدر الرئيسي لثروة الأمة . فيتولد من جراء ذلك نزاع طبقي جديد أبعد مدى من تنازع الفقر والغنى . مع العلم أن الشيوعية لم تنجح مع ذلك في

إزالة طبقه (الأغنياء) في مجتمعها ، إذ تبين أن المال لا بد من تكديسه في بعض الجيوب الحريصة على الإنفاق رغم تساوي المداخيل ! فالمسألة تستقر في النهاية في نفس الفرد وأخلاقه وطريقته في العيش، ولكل واحد عقليته الخاصة كما هو معلوم .

إن حب الادخار والميل إلى التحفظ إحدى الغرائز النفسية التي لا يمكن وقف نشاطها بواسطة قيود وتدابير خارجية . وإذا حيل بينها وبين مبتغياتها لا تزال حتى تكتشف المنافذ الجديدة باحوال وأشكال لا تقع تحت حصر . هذه الحقائق مثبتة بأدلة علمية وجرى مثلها على صفحات التاريخ عند جميع الأمم . لكن يمكن الحد من نشاطها في الانسان بواسطة قيود وتعاليم روحية داخل النفس كالاتكال على رحمة الله والعمل بوحيه . أما في وسط مادي صرف وفي بيئة لا تُقر شيئاً روحياً فإن غريزة حب الادخار والاحتياط للمستقبل تقوى وتتأصل وتجد ما يبرر نشاطها الإجرامي إذا سُدت في وجهها السبل الشرعية. إن مقاومة حب الطموح المادي في نفس الانسان بتدابير مادية يزيد هذا الطموح قوة ونشاطاً .

إن أقرب وسيلة إلى طبيعة الانسان نحو تحقيق طموحه الزمني هي طريق العمل الحر المثمر . فإذا سدّت هذه الطريق في وجهه فإن طموحه لا يقف ولا يضعف بل يأخذ في انتحال الوسائل الأخرى السياسية المشبعة بروح النميمة والتجاوز على مبادىء الشريعة الأدبية .

لعل أغرب ما في الشيوعية أن اليهودية العالمية هي مخترعتها وناشرتها ومنظمة أجهزتها أصلاً وفصلاً، واليهودية العالمية تمتلك أكبر رأسمال عـالمي والشيوعية تحـارب رأس المال ! لكن وجـه الغرابة يتضاءل عندما تبـدو الشيوعية ثمرة من ثمار التفكير المادي اليهودي المسيطر على العالم الغربي ، وقد يتوارى وجه الغرابة عندما يتبين أن الشيوعية واحدة من جملة مذاهب اجتماعيـة مادية متناقضة اخترعها المؤلفون اليهود وانصرف الماليون إلى نشرها وتغذيتها على مراحل متفاوتـة لبلبلة الجماهير وتقسيم شملها ، محافَظة على الأوضاع والرساميل القائمة في أيدي اليهود . إن تفاصيل هذا الموضوع لا يتسع لها المكان هنا .

الانسانية والسلام

الانسانية شعور بالشفقة على الآخرين يولّد الرغبة الصادقة في مساعدتهم وإزالة أسباب شكاويهم ، شعور داخلي في النفس يصدر عن الاحساس بوطأة الظلم ويثور ضده ، إحساس لا شك في أنه أحد مظاهر الضمير الانساني المعبِّر عن صوت الله .

غير أن أكثر (انسانيّي) العالم يميلون إلى تعظيم هذا الإحساس وجعله دستوراً للحياة بدون الروح ويعتقدون بإمكان إصلاح الحياة البشرية وتأمين السلامة العامة من دون حاجة إلى الإيمان بالله . مردّ هذا الإحساس في النفس ينسبونه إلى أثر الانفعالات (البهائمية) على (الفكر) بمرور مئات الوف السنين !

جوهر الموضوع كما يتضح ينحصر فيما إذا كان باستطاعة الشعور الانساني الكامل ـ المجرد عن الإيمان بالله وخوفه ـ أن يكفل تأمين السلام في محيطه . هنا ينتقل بنا البحث إلى النقطة الفاصلة فيه وهي : هل الشعور الإنساني الكامل يمنع من الوقوع في الخطأ وارتكاب الهفوات ويكفل دوام الصفات المنزهة عن الحسد والكبرياء وسوء الظن والاستبداد بالرأي ؟ يثبت الواقع التاريخي أن ما من مصلح من الناس اشتهر بالصلاح والانسانية إلا ووقع في أثناء حياته في جملة أخطاء . وأن مرور الزمن وارتقاء المراكز الرفيعة في المجتمعات من شانه التأثير البالغ على النفس الإنسانية بحيث تتغير أوجه التفكير فيها وتنقلب أوضاعها الأدبية رأساً على عقب . الهادىء والمتواضع يصبح قلقاً مستبداً، وسموح النفس وكريم الأخلاق يصير ضيق الصدر سيء الظن . فالنفس أمارة بالسوء والإنسان عقوق كفّار يواجه الظروف العديدة والحالات المختلفة بأشكال وصور متقلبة، كأنه يستلهم كل واحدة منها النظرية التي تناسبها والخطة المنطبقة عليها . ويتبين أيضاً أن المؤمنين من

رجال الله أعلنوا ضعف النفس البشرية وعجزهـــا عن الحياة معصومة عن الخطيئة وكانوا في طليعة المعترفين بأخطائهم الخاصة العديدة يتلمسون رحمة الله وعونه كي يحفظهم من عثرات المستقبل . فما دام الخطأ محتم الصدور عن كل نفس بشرية مهما تكن انسانية وتقيـــة في بعض الأحيان ـ كيف يجوز لنا أن نتوقع من بعض الأنظمة المادية ضماناً للسلامة العامة يكفل إجراء الحق وتطبيق العدالة في كل زمان ومكان ؟

أنتجت الإنسانية في الماضي مئات من الرجال الصالحين وأوحت بعدة مبادىء أساسية للحياة والسلامة العامة . وجاءت ازمنة تسلّم فيها زمام الناس كثير من الأتقياء والمخلصين وكانت مبادىء الحرية والمساواة والعدالة كفيلة بحماية حقوق الأفراد والجماعات في نصوصها ، لكن الأخطاء كانت تدب من جديد والأطماع والاعتـــداءات تعم المجتمعات ، سواء من جـــانب الحكام والرؤساء أم من جانب الأفراد العاديين بسبب الفقر والحاجة والغيرة والحسد والاستبداد بالرأي .

يتبين من جهة ثانية أن وجود أداة صالحة على وجه

الافتراض، مكونة من شخص واحد أم من جملة أشخاص، على رأس أمة أو جماعـــة تتسلم الحكم والقضاء بموجب قوانين عادلة ــ لا يكفل استتباب السلامة العامة ما دام في ذلك المجتمع أفراد غير صالحين وغير كاملين . وأية جماعة تخلو من الفاسدين وأي مجتمع لا يتفسخ ؟

سلامة المجتمع تعني خلوّه من الاعتداءات الفردية على حقوق الغير ولا شيء يدفع إلى العدوان ويثير الطمع في نفوس الأفراد سوى الحرمان مما يستمتع به الغير من الخيرات . فالعامل الاقتصادي لا يصح أساساً لمنع العدوان ما لم يتمكن من منح جميع الأفراد الخيرات بالتساوي، بعد التأكد من سلامة الأخلاق وصحة النظـــام . أما إذا لم يتمكن من مساواة الناس في جميع خيرات الأرض وهو غير ممكن على الإطلاق ـ فإنه يهبط إلى المرتبة الثانية أمام العامل الأدبي الذي يستطيع العمل ضمن أي نظـــام اقتصادي مقاوماً الفقر بالعمل الشاق، والشهوات والمطامع بالصبر والتقوى . فسلامة المجتمع مسالة أعمال وتصرفات تصدر عن نوايا ومطامح نفسية في قلوب تنشأ في كل بيئة وتحت كل نظام وفي أية ظروف . غير أن نسبتها تقـل

بالتربية الحسنة عند الذين يخافون الله في قرارة نفوسهم ، وتزداد ضمناً حيث يقل تأثير التربية الروحيـة وحيث ينعدم خوف الله .

مثلما تتحكم الأخلاق من جهة والأخطاء والهفوات من جهة أخرى بمصير السلم وسط الجماعـــات الصغيرة كذلك تتحكم أخلاق الحكام وأخطـــاؤهم بمصير السلام الشامل بين الأمم . فحيث لا بد من الخطـــأ لا بد من أعمال تنتهي بعرقلة السلام ، وإثارة الحروب . ليست القضية قضية مبـادىء ونظريات ، يرجى من نصوصها منع الحرب . إذ أن هذه النظريات كانت موجودة عند الأمم ، منذ مئات السنين . ومرت ظروف وظهر حكام اتخذوا منها الأسباب المبرِّرة لجرّ الشعوب إلى القتال . القضية تتبلور أخيراً في ضعف خلقي في النفس البشرية سواء كان في قلوب الحكام أم في الأفراد .

عصبة الأمم والسلام

في الحرب العالمية الأولى ، بلغت نقمة الشعوب على الحروب حدَّها الأقصى ، وبلغ من ثورة الضمير الإنساني على فظائعها ، ما أهاب بالمتحكمين أن يعملوا جدياً على وضع تشريع عـــالمي يمنع نشوب الحروب ويقتص من مثيريها .

فلما انتهت الحرب اجتمع رؤساء الدول المنتصرة في (فرساي) ، حيث اقتسموا الغنائم ، ورسموا خريطة جديدة لأوروبا ، وعقدوا الصلح ، بموجب (معاهدة فرساي) .

ثم انتقلوا إلى بحث موضوع منع الحرب في المستقبل فاستقر الرأي على وجوب تأليف عصبة من جميع الأمم يكون من حقها أن تنظر في أي خلاف دولي .

. كذلك يكون في مقدورها أن تحكم على المعتدي وتحول دون عدوانه بجميع الوسائل .

وكان على عصبة الأمم أن تفصل بالحق في كل شكوى تقدمها الدول الصغيرة ضد الدول الكبيرة ، سواء كانت محكومة أم شبه محكومة . فهلّلت الشعوب طرباً ، وتنفس الناس الصعداء ، وشكروا ربهم .

مرّت حقبة من الزمن ، وأخذ التاريخ مجراه :

دولة صغيرة تشكو دولة كبيرة من سوء المعاملة والعدوان ، فتهمل شكواها .

دولة كبيرة منتدَبة تخالف ميثاق الانتداب باضطهاد الوطنيين الأحرار ، وخنق الحريات العامة ، وامتصاص ثروة الشعب ، فتتجاهل عصبة الأمم الشكاوى .

هدّد موسوليني باحتلال الحبشة وضمها إلى بلاده .. فلم تحرك العصبة ساكناً

وبينما كان يخطب أمام الألوف من الفاشيست ، معلناً عزم إيطاليا الأكيد على اغتصاب الحبشة ، وجيوشه تقتحم الحدود ، وطائراته تدك المدن والقرى ؛ كانت (العصبة) ترسل اللجنة تلو اللجنة (للتحقيق) في من

هو المعتدي ! وما كاد يتم احتلالها حتى بادرت الدولُ الكبرى الأعضاء في العصبة تتسابق للاعتراف بملك ايطاليا وامبراطور الحبشة :

طالبت الدول الكبيرة غير المسلحة مراراً وتكراراً بنزع سلاح الدول المسلحة ، ما دامت العصبة كفيلة بحفظ السلام ومنع العدوان ، فكان نصيب مطاليبها الإهمال .

فانسحبت تلك الدول من العصبة وأخذت تتسلح ؛ وهكذا عاد سباق التسلح إلى سابق عهده .

خاب أمل الشعوب المحكومة على أمرها ، وفقدت كل ثقة لها بالعصبة التي كانت تقيم في كل جلسة دليلاً جديداً على أنها باتت أداة تسيرها الدول الاستعمارية للمحافظة على سيطرتها .

إن المسرحيات والألاعيب التي قامت بها عصبة الأمم لخدمة الاستعمار على ظهر النصوص البرّاقة ، والمبادىء الشريفة ، ليخجل اليوم صغار الأولاد من تمثيلها على مرأى من الناس .

لم يكن العالم في وقت من الأوقات بحاجة إلى نصوص

برّاقة من صنع الانسان بفضل التعاليم السماوية التي تكفل حق كل انسان وحدود كل أمة .

ولا زالت العصبة تتخاذل أمام الحق، وتتراجع أمام المعتدين حتى باتت مسؤولة مباشرة عن اشتعال نيران الحرب العالمية الثانية .

هيئة الأمم والسلام

من أكبر مآسي العالم أن كل حرب تقع فيه تنشب لأجل إزالة الحيف الناتج عن الحرب التي سبقتها ...

أي أن كل حرب تحدث لأجل إزالة نتائج الحروب السابقة وضمان الأمن والسلام بصورة دائمة .

وتأتي التدابير اللازمة للحيلولة دون حرب أخرى فتكون بحد ذاتها سبباً مباشراً لإثارة حرب أخرى .

كما أنشئت عصبة الأمم بموجب معاهدة فرساي لإزالة الحروب ، فكانت العامل على إثارة أكبر حرب أخرى .

في أثنـاء هذه الحرب ـ الحرب العالمية الثانية ـ من كان يظن أن أحداً سوف يفكر بإمـكان نشوب حرب جديدة !!

إن أهوال الحرب العالمية الثانية ما برحت ماثلة أمام كل عين يوم انقسم العالم إلى معسكرين كل منهما يَعِدُ العالم بعد فوزه ـ بألف سنة سلام

كان الجانبان يستميتان من أجل النصر ، ومن أجل تحقيق هذا الحلم .

ولما أخذ نجم النازية الفاشستية بالأفول ، بدأ ممثلو الدول الحليفة المنتصرة في عقـد المؤتمرات للبحث والتشاور فيما ينبغي تقريره لأجل منع الحرب .

ولقد أشار خبراء السياسة والحرب على المؤتمرات المنعقدة لهذه الغاية أنه لا يمكن قيام سلام دائم في اوروبا والعالم ما دامت الدولة الالمانية قائمة .

لذلك ينبغي احتلال المانيا من جانب الحلفاء لمدة لا تقل عن خمسين سنة ثم تشكيل هيئة تمثل جميع الأمم ومجلس للأمن من الدول الكبيرة للفصل في الخلافات التي قد تؤدي إلى خطر يهدد السلام .

على هذا الأساس تم تقسيم ألمانيا واحتلالها من قبل الدول الكبرى المنتصرة وهي الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

ما كادت حرارة الحرب تبرد حتى تبيّـن أن الدول المحتلة منقسمة أيضاً على ذاتها (من حيث المبـــدأ) إلى قسمين : قسم شرقي يدين بالمبدأ الشيوعي ، وقسم غربي يدين بالديموقراطية الرأسمالية ، الغربية .

واخـــذ التنافس بين المعسكرين الجديدين يتبلور وأخذ التسابق على الزعامة والشهرة والقوة يدب قرنيه حتى باشر كل جانب في جمع الانصار ، وإنشاء الكتل ، وبالتحفظ والاستعداد .

وتالفت هيئـة الأمم من الدول المستقلة بعد موافقـة الجانبين .

غير أن هذه الدول لم تلبث طويلاً حتى انقسمت هي الأخرى إلى فئتين : فئة تماشي سياسة المعسكر الشرقي بزعامة الاتحـــاد السوفياتي ، وفئة تماشي سياسة الغرب بقيادة الولايات المتحدة .

على أن كفة الولايات المتحدة أخذت تتفوق على كفة الاتحاد السوفياتي في صفوف الدول الأعضاء عند التعرض لكل ما يمس مصلحة هذه الدول مباشرة .

فإذا كانت القضية لا تهم مصلحة الدولة المتزعمـــة

مباشرة فإن قرارات هيئة الأمم تظل حبراً على ورق .

صارت أعمال المنظمة العالمية تسير في حلقة مفرغة واعتراها الشلل .

لقد طُرحت عليها قضايا الدول الصغيرة المعتدى عليها من جانب الدولة الكبيرة ذات النزعة الاستعمارية كقضايا الشرق الأقصى ، والشرق الأوسط ، وفلسطين وغيرها ، فكانت تماطل وتراوغ وتداور وتنسج على منوال (عصبة الأمم) .

كيف يطمئن العالم إلى سلامة شعوبه في ظل منظمة يكتنفها التنافس والتناحر ـ منظمة تقتسمها جبهتان لا تثق إحداهما بالأخرى ؟

تشابكت مرامي الدولتين (العملاقتين) في الشرق الأقصى منذ عشر سنوات وظلّت الأمور تتدهور من سيء إلى أسوأ حتى انشطرت فيتنام إلى شطرين : دولة شمالية تدعمها الشيوعية بكل قوتها ، ودولة جنوبية تدعمها الولايات المتحدة بصورة مكشوفة . ونشبت حرب ضارية بين الجانبين على مرأى من دول العالم الأعضاء في هيئة الأمم ، وأعضاء مجلس الأمن .. حرب

استمرت أكثر من ست سنوات، تخللها من الدمار والقتل والتخريب أكثر مما تخلل الحرب العالمية الثانية . وفيما كانت (مفاوضات السلام) تجري في باريس كانت الغارات الأميركية الكاسحة تمحو المدن الفيتنامية من الوجود بقصد تأمين الحرية والسلام للشعب الفيتنامي ! تمثيل جديد لإحدى مسرحيات عصبة الأمم التي يقوم بإخراجها مجلس الأمن .

لم تتفق سياسة الدولتين العملاقتين في التاريخ إلا مرة واحدة ، عندما تسابقتا على الاعتراف بدولة اسرائيل المزيفة بعد منتصف الليل سنة ١٩٤٥ ـ على تشريد شعب فلسطين . وقد سبقت في ذلك أمريكا .

من ذلك الحين والمآسي تتكرر والتحيز الأمريكي ياخذ مجراه ، والتصريحات الصادرة عن الجانبين تؤكد وجوب العمل على إزالة الحيف وإحقاق الحق وتطبيق العدالة ، والأسلحة تتدفق على الجانبين من الجهتين .

وقعت حرب حزيران ١٩٦٧ ، فوسّعت إسرائيل رقعة وجودها رغم معارضة جميع الدول، فتحركت هيئة الأمم وقررت وجوب انسحابها فوراً . لكنها لم تفعل ولا

تزال ترفض التقيد بالقرار علناً . فلما أوشكت على مواجهة المصير المحتم بعـد حرب تشرين الأول طلعت (الدولتان) باقتراح عقد هدنة وبدء مؤتمر (سلام) في جنيف يترتب عليـــه تحقيق العدالة والسلام لصالح الجانبين ! وانخدع بعض الرؤساء العرب .

تمثيلية جديدة يجري إعداد فصولهـــا على ضوء سجلات عصبة الأمم ومخططات مجلس الأمن ومحادثات باريس للسلام في فيتنام ...



أنظمة النقد

إن قوة الله التي أوجدت الحيوان والنبات ونظام الطبيعةوأخيراً الإنسان ـ لم تغفل عن إيجاد وسيلة يتعامل بها الناس في الأخذ والعطـــاء مقابل شيء ذي قيمة معيّنة ثابتة .

كانت هذه الوسيلة وجود مادة محدّدة جميلة لا تفسد ولا تصدأ ولا يمكن أن يعتورهـــا الزوال بشكل من الأشكال هي مادة الذهب . لكن طموح الإنسان لم يكن في وقت من الأوقات يقبل ترتيبات الله بل كان على الدوام يحاول اختراع ما (يعتقده) أفضل .

بعد الكثير من المحاولات الفاشلة (بواسطة اكتشاف الورق) توصّل إلى وضع نظام نقدي للتعامل على أساس

مطبوعات ورقية تدعى بنكنوت مؤمن عليها بمعدن الذهب .

إلى هنا كانت الفكرة حسنة وأكثر ملاءمة للتعامل لا سيما متى كانت الكميات المتعامل بها كبيرة .

غير أنه تبين بمرور الزمن أن الطريقة تفسح المجال واسعاً أمام الحكومات والهيئات المصدرة (للبنكنوت) لتخفيض قيمة الضمانة الذهبية للورق كلّما وقع عجز في ميزان خزانة الدولة .

وأن ما من عملة ورقية صدرت بقيمة معيّنة تمكنت من المحافظة على قيمتها الأصلية بمرور الزمن . وتطوّر الوضع وإذا بداء التضخّم النقدي يصبح نتيجة حتمية لكل عملة ورقية .

حكومة الولايات المتحدة تحاول اليوم إيهام العالم أن باستطاعتها إنقاذ فكرة النظام الورقي بجعل عملتها (الدولار) عملة ورقية عالمية غير قابلة للسقوط بفعل (التضخم) . غير أن الواقع أثبت فشل هذه المحاولة لأن قيمة الدولار هبطت ولا تزال عرضة للسقوط كلّما تعاظم العجز في ميزان مدفوعاتها ، وكلما تألبت عليها

المضاربات الخارجية من سياسية وغير سياسية . ثم من (يضمن) دوام قدرتها في السيطرة على العالم ليحتفظ الدولار بأي قيمة ؟

حاول الإنسان مراراً أن يتفلسف ويتطاول على سنن الله وقاموس الطبيعة ، فلم ينجح في واحدة منها .

القدس ـ نبذة تاريخية

تعتبر مدينة القدس من الوجهة الدينية ـ لا سيا القسم الشرقي منها أي أورشليم ـ بقعة مقدسة مئة بالمئة عند جميع الطوائف المؤمنة .

إنها نقطة الارتباط الوحيدة على الأرض بين الله تعالى والإنسان .

كانت هدف التوراة وحلم الأنبياء ومصدر الإنجيل ومهبط الوحي وطريق الحياة الأبدية الموعود بها .

إليها أسرى الله بعبده (النبيّ محمد) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

سؤال مهم يتبادر إلى الذهن هنا : ـ لماذا تكون بقعة صغيرة معيّنة مفضلة على جميع جنّات الأرض ومدنها الكبيرة ؟

الجواب ينحصر في نقطتين :

الأولى : أن للمكان أهمية تاريخية خاصّة فيما يتعلّق بوجود الإنسان الأول آدم في جنة عدن ومخالفته وصية الله وسقوطه وفقدان نسله من بعده حق الحياة الأبدية ـ والخطط الموضوع من قبل الله لاستعادة الانسان حقه هذا .

النقطة الثانية: توضحها التوراة في قول النبي حزقيال بوحي من الله « قد أقمت اورشليم في مكان يتوسط جميع الأمم والممالك » . فأرض فلسطين تربط قارات العالم القديم الثلاث كما تتوسط قلب الشرق الأوسط، مهد المدنية .

في نحو السنة ١٠٤٦ ق. م. احتل رجال الملك داود الحصن والقرية (حصن صهيون كما كان يدعى بلغة اليبوسيين) . وأحسّ بجاذبٍ يدفعه إلى جعل المكان عاصمة مملكته ، فأمر بإحاطته بسور منيع ودعا المدينة (أورشليم) مدينة السلام. وجعلها عاصمة المملكة. بقيت المدينة عاصمة مملكة يهوذا نحو ٤٥٠ سنة تولى الملك فيها أربعة عشر ملكاً من نسل داود كان آخرهم صدقيا الذي

أسره ملك بابل نبوخذ نصّر . سبى الملك جميع سكان المدينة إلى بلاده بعد ما هدم السور والهيكل والقصور الفخمة . من ذلك الحين لم يقم لليهود كيان سياسي أو إداري في المدينة بل صاروا جالية تميزت بتقاليدها الدينية .

تتّسم القدس ـ والمقصود هنا هو القسم الشرقي منها أي أورشليم المحاطة بالسور ـ بتاريخ حافل بالغزوات والمعارك الدامية بصورة لا مثيل لها في مدن العالم أجمع رغم حداثة وجودها بالنسبة إلى عواصم ومدن العالم القديم . ويخيّل لمن يتصفّح التوراة والانجيل كأنما المدينة توازي في أهميتها عند الله الجنس البشري كله . فرموز العهد القديم وتنبؤات رجاله والوقائع الهامة التي طرأت على المؤمنين فيه كانت تشير إلى مكان مقدس فيها قبل أن تبنى بنحو ألفي سنة . وفيها عاش أكثر الأنبياء والمسيح والرسل وفيها كتبت أسفار التوراة والإنجيل وفيها حفظت .

حوصرت المدينة لا أقل من سبع عشرة مرة وأحرقت وهُدمت إلى الحضيض في سنة ٥٨٦ ق. م.

وعاد الرومان بقيادة تيطس فهدموا هيكل (هيرودس) ولم يتركوا فيها من أثر لكائن حي . وقصص القتل والنهب وسفك الدماء فيها وحولها تكاد تكون متصلة الحلقات .

انقسام المملكة إلى دولتين :

بعد موت الملك سليمان بن داود وقعت حرب أهلية انتهت بانقسام مملكة داود إلى شطرين: جنوبي شمل القدس وبيت لحم وحبرون سمي مملكة يهوذا ، وشمالي ضم جبعة وشكيم (نابلس) حتى حدود صور سمي مملكة السامرة المملكة الجنوبيـة عاصمتها أورشليم توارث عرشها نسل الملك داود ، والشمالية عاصمتها السامرة (البلدة المعروفـة اليوم باسم سبستية قرب نابلس) تولى الملك فيها في البداية يربعام بن نباط باني هيكل سليمان* الملقب بحيرام ثم تلاه البعض من نسله وقـادة جيشه . المملكة الجنوبية كانت أطول عمراً من المملكة الشمالية وظلّـت وفيّــة لنسل داود حتى سبي أهلها نبوخذنصّر ملك بابل .

تجدر الإشارة هنـا إلى أنه تولّـد بمرور الزمن فارق كبير في المعنى بين كلمة (السامرة) عاصمـــة إسرائيل

* هكذا في مخطوط المؤلف .

المنشقة عن مملكة أورشليم وكلمة (السامرية والسامريون) ـ فارق لا يجوز المرور به دون توضيح مسهب نظراً للدور التاريخي الهام الذي مثله السامريون فيما بعد على المسرح التاريخي للمنطقة . فالسامرة كانت عاصمة دولة اسرائيل المنشقة عن مملكة داود بعد موت الملك سليمان .

اختفى ذكر اسم اورشليم من التاريخ نحو سبعين سنة بعد سبي نبوخذ نصّر ولم يبق من أثر لوجودها غير أكوام من حجارة سوداء . لكن زمام السلطة على الشرق الأوسط كان قد أفلت من يد بابل العظيمة إلى أيدي ملوك فارس الذين اعتمدوا سياسة اللين تجاه اليهود . وفي سنة ٥٣٦ ق. م. أصدر الملك سيروس الفارسي أمراً بوجوب عودة المسبيّين إلى مدنهم وإعادة بنائها . بعد سنتين بدأ العمل في تشييد المساكن الشعبية في أورشليم والكشف عن أساسات الهيكل وبوشر بترميم ما تيسر من جدار السور بقيادة النبيّين زكريا وحجي . توقف العمل مدة بسبب الشكاوي التي قدمها السامريون إلى العرش الفارسي ضد اليهود العائدين قائلين إن هؤلاء أمة متمردة لا تلبث حتى تثور على مملكة فارس . وفي سنة

٤٥٧ ق. م. قدم (عزرا)* على رأس قافلة جديـدة من العائدين من بابل مع هدايا ونجدات من ملك فارس . وقد بذل جهده الأكبر في سبيل إعادة بناء الهيكل وإقامـة المذبح كما تقضي الشريعة فكان له مـــا أراد . بعد بضع سنوات جاء (نحميا) أيضاً من بابل مع قافلة جديـــدة وأخذ يحث الكهنة على وجوب ترميم سور المدينة بصورة كاملة قبل بناء بقية منازل السكن . ويبدو أن نحميـــا حكم المدينة من قبل ملك فارس منذ سنة ٤٤٥، لكن مدة حكمه وزمن موته بقيا مجهولين . كانت السلطة التاليـة لرئاسة الدولة في عهد نحميـا مناطة برئيس الكهنة . فلما مات نحميا وتلاه رئيس الكهنة اختلف (ولدا رئيس الكهنة المتوفى) يوحانان ويشوع ، على الرئاسة وتبين أن القائد الفارسي كان يؤيد يشوع . تخاصم الرجـــلان في الهيكل وقتل يوحانان أخـــاه يشوع قرب المذبح فأثار ذلك نقمة المفوض الفارسي الذي استغل الفرصة. فالغى معظم الميزات التي كان يتمتع بها رئيس الكهنة وفرض ضريبة إضافية على التقدمات لمدة سبع سنوات . كان ليوحانان إبنان (يدّوع ومنسى) يساعدانه في الخدمة

* هذه معلومات مصدرها التوراة ، ولم تثبت صحتها تاريخياً ، وإنما هي مقبولة من جهة دينية فقط .

الكهنوتية فلما مات اختلفا أيضاً على الرئاسة . كان يدّوع أحق بالرئاسة وقد استأثر بها فعلاً ، لكن منسى كان يتمتع بشعبية قوية رغم أنه كان قد تزوّج امرأة غير يهودية مخالفاً بذلك وصية الناموس . فنظّم حزب (نحميا) معارضة قوية لجنوح منسى أدّت إلى رحيل منسى مع أنصاره إلى السامرة حيث قوبل بكل ترحاب ثم عين رئيساً للكهنة فيها ليخدم في هيكلهم المقدس على جبل جرزيم قرب نابلس . في هذا الوقت وصل جيش الاسكندر المكدوني إلى ساحل صور وأقام الحصار على المدينة . بعث الاسكندر برسالة إلى يدّوع يطلب مساعدته بمؤن وعتاد في حربه ضد الفينيقيين، لكن يدّوع رفض ذلك قائلاً انه مرتبط بعهد مع داريوس ملك فارس . في تموز ٣٣١ ق. م. سقطت صور بيد الاسكندر وكان بودّه أن يرجع لتصفية حسابه مع أورشليم لكنه فضّل متابعة الزحف جنوباً على مصر لعظم أهميتها . أحد حلفاء الأسكندر (بتولمي سوتير) زحف على المدينة سنة ٣٢٠ ق. م. واحتلها . واضطهد هذا القائد سكانها بقسوة ودنّس الهيكل ورحّل كل قادر على السير إلى

الاسكندرية وشمال أفريقيا . خضعت المدينة بعد ذلك نحو مئتي سنة يتنازعها خلفاء الاسكندر الواحـــد بعد الآخر ، وكل واحد يقوم بما يحلو له من إجراءات . لكن رؤساء الكهنة ظلّوا يمارسون عملهم تحت سيطرة القادة من اليونان .

تقبل الشعب صبغة الثقافة اليونانية بسرعة ـ اللغة والتقاليد والعادات الاجتماعية وآداب السلوك ـ حتى أن رؤساء الكهنة صاروا يستبدلون أسماءهم بأسماء يونانية . كان أول من فعل ذلك يشوع شقيق أوناس الذي تسمى (جاسون) سنة ١٧٥ ق. م. أهم ملك يوناني حكم سوريا و (فلسطين) كان أنطيوخوس أبيفانوس ١٧٥ ـ ١٦٤ ق. م. بدأ بأن جعل وظيفة رئاسة الكهنة تبـــاع من جانبه لمن يدفع المال من طلابها . كما أدخل على المدينة كل مبادىء الثقافة اليونانية بالقوة ـ الدينية والاجتماعيـــة والأخلاقية وجرّ الكثيرين إلى التخلّي عن عبادة الله وتقديس الهيكل إلى عبـــادة الأوثان بمساعدة جاسون رئيس الكهنة مع شقيقه مينيلاوس .

في سنة ١٧٠ ق. م. اشترى مينيلاوس الرئاسة من

أنطيوخوس وطرد شقيقه جاسون من المدينة، غير أن هذا عاد ليلاً مع أنصاره وقام بمجزرة فظيعة في المدينة انتقاماً من الملك وفرّ إلى شرق الأردن . فلما علم أنطيوخوس بما جرى جاء فنهب عدة الهيكل وأقام مذبحاً (لزفس) وأمر بعبـــادة (هرقل) . لم يجرؤ رئيس الكهنة على مقاومته . فترك قسم كبير من السكان عبادة الله واتبعوا عادات العبادة الوثنية ، الأمر الذي أدى إلى ظهور معارضة قوية من جانب اليهود المحافظين عرفت بحركة المكابيين بقيـــادة يوداس (يهوذا) وفئة تناصر رئيس الكهنة وأنصاره من المتأثـرين بثقافة اليونان . ولقد وقع من فظائع تقاتل الفئتين في أزقـّة المدينة ما يعجز القلم عن وصفه . فلما استقر الأمر للمكابيين مـــات أنطيوخوس وتسلّـم السلطة ديمتريوس . استمرّ خلفاء يوداس من المكابيين في التمركز في المدينة تارة بالتحالف مع القادة اليونان وطوراً مع وقوع اشتباكات جانبية نحو خمسين سنة ، وكان أشهر قادتهم يوحنا مرقانوس الذي لقب بالكاهن الأكبر . في عهده ظهرت طائفة الفريسيين من متطرّفي اليهود وطائفة الصدوقيين الأقلّ تعصباً .

كان يوحنا فريسيّاً لكنه عاد وانقلب عليهم مؤيداً الصدّوقيين . سنة ١٠٥ ق. م. تسلم الرئاسة اسكندر بن يوحنا وكان مثل والده مؤيداً للصدوقيين ، مما سبب ثورة أهلية بين الفريسيّين والصدوقيين قتل فيها عشرات في شوارع المدينة ، وبعد موته أصبح الفريسيّون الأكثرية الساحقة. وكانت الامبراطورية اليونانية المجزأة قد انتقلت إلى أيدي الرومان . بعد موت اسكندر تسلمت زوجته السلطة مدة قصيرة ثم تنازلت عنها لابنها البكر هيرقانوس لكن شقيقه (أريستوبولس) لم يلبث حتى ثار عليه بمساعدة الصدوقيين ، فانقسمت المدينة من جديد وعاد التقاتل . فاستعان هيرقانوس بملك دمشق (آرتاس) واستعان (أريستوبولس) بأحد قادة (بومبي) ، وكان ذلك سنة ٦٥ ق.م. وبعد قتال مرير استمر بضع سنوات وقتل فيه (١٢) ألف رجل استقرت رئاسة الكهنة بيد هيرقانوس والسلطة المدنية بيد (انتي باتر) من رجال (يوليوس قيصر) المخلصين. وأنتي باتر من أصل آدومي- عربي ومن أسرة شريفة عرفت بموالاتها لرومية أثناء حملتها على مصر . سنة ٤٧ ق. م. قدّم (انتي باتر) ابنه

(هيرودس) للشعب وهو بعد فتى على أن يكون خليفته . بعد نحو خمس سنوات قتل (انتي باتر) في قصر هيرقانوس رئيس الكهنة بواسطة (مليكاس) أحد منافسيه ، فبادر هيرودس الفتى وذبح القاتل في الحال وتسلم السلطة . لكن خطراً جديداً نشأ بظهور الابن الأصغر لأريستوبولس خصم هيرقانوس مع قوة يهودية من خارج أورشليم زاعماً أنه يريد زيارة الهيكل .

كان هيرودس قد أبحر إلى رومية لتقديم الولاء وتسلم السلطة من القيصر . فلقي ابن اريستوبولس (أنتيكونس) مقاومة شديدة من هيرقانوس وشقيق هيرودس والجند الروماني كانت ناجحة في بادىء الأمر. غير أن الوضع انقلب لصالح انتيكونس بسبب تأييد كاسح من جانب الفلاحين المتدفقين من خارج المدينة . وسنة ٤٠ ق. م. أصبح ملكاً عليها بمؤازرة البارثيين . بعد ثلاثة أشهر رجع هيرودس من روما مؤيداً من القيصر مع قوة كبيرة من الجند الروماني وحاصر المدينة بقيادة(سيلو). وتغلّب هيرودس على مقاومة المدينةوقتل معظم أعضاء المجمع من رؤساء الكهنة، لكن أكثر الشعب

كانت لا تزال غير وفيّة له . في ربيع سنة ٣١ ق. م. حدثت هزة أرضية كبيرة قتلت نحو ١٢ ألفاً من السكان . وفي السنة التالية توفي (هيرقانوس) . فقويت شوكة هيرودس عند ذلك وصار يبالغ في مساندة العناصر المؤيدة له من السكان غير المتعصبين . وفي ٢٥ ق. م. وقعت مجاعة شديدة بسبب الجفاف مات على أثرها عدد كبير من الفقراء. وفي السنة التالية وقع هيرودس في حب ابنة أحد الكهنة وتزوج منها ، فأصبح أشد عطفاً على اليهود واستمال قسماً منهم.وأخيراً قرر إعادة بناء الهيكل بموجب تصميم ضخم وجمال فني لا مثيل له . تم البناء في نحو السنة ٩ ق. م. وكان آية في الجمال . لكنه خطر لهيرودس في الختام أن وضع رسماً محفوراً للنسر شعار الامبراطورية الرومانية فوق مدخل قدس الأقداس في في الهيكل مع اسم (أكريبا)الوزير المفضّل عند القيصر. فأثار بذلك نقمة المحافظين اليهود، وهؤلاء أثاروا بدورهم عامة الشعب وبدأ الخصام من جديد . ثم ان بعض رؤساء الكهنة طلع بإشاعة أن هيرودس يحتضر ثم حث المؤمنين على نزع الشعارات التي وضعها هيرودس مدنساً قدسية

الهيكل . فلما علم هيرودس بالأمر قبض على المحرّضين وأحرقهم بالنار أمام جماهير الشعب . وكان متياس رئيس الكهنة ويوداس من جملة الذين أعدموا . وفي السنة التالية توفي هيرودس وتسلم ابنه (أرشيلاوس) السلطة من بعده. هكذا كان وضع المدينة عند مولد السيد المسيح وبدء التاريخ الميلادي .

بدأ (ارشيلاوس) حكمه بعد تثبيته من روما بمحاولة التخفيف من نقمة اليهود على السلطة الرومانية بسبب تصرفات هيرودس الأخيرة . دعا الرؤساء وجمهور الشعب إلى احتفال كبير أمام الهيكل ووعد باطلاق سراح المساجين وتخفيف الضرائب والعفو عن المبعدين فلقي بعض التأييد . وفي سنة ١٤ ميلادية توفي القيصر اوغسطس وتسلم طيباريوس رئاسة الامبراطورية فاقال حكام سلفه وعين (كراتوس) على اورشليم واليهودية . وبقي هذا في الحكم حتى سنة ٢٦ ثم اقيل وعين (بيلاطس) مكانه . حاول بيلاطس إعادة إشارة النسر إلى هيكل هيرودس ولكنه فشل بسبب المقاومة العنيفة من رؤساء الكهنة الذين أثاروا الشعب .

في ربيع السنة ٣٣ ميلادية قُبيل عيد الفصح قبض حراس الكهنة اليهود على السيد المسيح ، وحاكموه في المجمع برئاسة رئيس الكهنة (قيافا) وارتأوا أنه يستحق الموت وساقوه إلى بيلاطس الحاكم الروماني وبعد إلحاحهم وافق الحاكم على طلبهم .

بعد أربع سنوات دعي بيلاطس إلى روما بسبب شكاوى عديدة قُدمت ضده من جانب سكان الولاية على زيادة الضرائب وتقييد ميزات رؤساء الكهنة وسلطاتهم ، فاقيل من منصبه ولم يلبث حتى توفي .

دعي فيتيليوس حاكم سوريا للقيـــام بمهمة زيارة القدس وتهدئة عناصرها الثائرة ، فقام بزيارتهـا سنة ٣٧ وتمكن من إرضاء الشعب بواسطة خفض الضريبة المقررة من جهة وإقالة رئيس الكهنة (قيافا) من وظيفته من جهة ثانية . ثم عين يوناثان بن أناس رئيساً للكهنـة ونائباً عنه في الأنطونيـــا (السراي أو البلاط) وانصرف . لكنه عاد في السنة نفسها لزيارة المدينة فاقال يونان من منصبه وعين شقيقه (تيوفيلوس) مكانه . في آخر تلك السنة ورد خبر موت القيصر (تيباريوس) وتولى خليفته

(كاليكولا) رئاسة الامبراطورية فأثار ضجة كبيرة في الأوساط وكاد زمام الأمن يفلت من الأيدي لولا مباشرة الامبراطور الجديد وتعيينه (مارسيليوس) حاكماً على الولاية . وفي السنة التالية نظم الكهنة حملة قاسية على المسيحيين في المدينة بموافقة الحاكم الجديد فطردوهم منها وأعدم القديس استفانوس رجماً بالحجارة .

سنة ٤٠ عين (بيترونيوس) حاكماً بديلاً في البلاط مع أمر امبراطوري بوجوب إقامة تمثال للامبراطور (كاليكولا) في ساحة الهيكل في القدس . لكن الأمر كان عاملاً على إثارة الشعب كرجل واحد ضده ، مما جعل السلطة الرومانية تؤجل تنفيذه .

سنة ٤١ تولى كلانديوس رئاسة الامبراطورية والترم سياسة مرنة تجاه اليهود بإعادة أكريبا الذي كان في المنفى إلى الحكم في البلاط .

زيارة بولس الاولى :

تميزت سنة ٤٣ بأول زيارة قام بها القديس بولس للمدينة بعد اهتدائه وتميزت السنة التالية بمقتل القديس

جيمس على يد أكريبا ثم سجن القديس بطرس وفراره من الحبس في عيد الفصح . وفي السنة ذاتها مات أكريبا وعلى أثر وفاته قدم (كسبيوس فاديوس) من روما كحاكم من البلاط و (لونجينوس) حاكماً عاماً على عموم سوريا . ابتدأت سنة ٤٥ بمجاعة شديدة ترتبت على سوء المحاصيل واستمرت سنتين ، لكن حضور ميلينا ملكة أديابين الغيورة على الدين اليهودي ، إلى المدينة ، خفف الكثير من وطأة الموت جوعاً لإقدامها على توزيع كميات من الحنطة على الفقراء .

سنة ٤٨ تعين فنتيديوس خلفاً لفاديوس ففوجىء بشغب كبير قام به جمهور المصلّين في عيد الفصح احتجاجاً على انتظام صفوف الجند الروماني قرب جدران الهيكل اسفر عن مجزرة رهيبة في الأزقة الضيقة المؤدية إلى المكان المقدس قُتل خلالها نحو عشرين ألف رجل تحت أقدام الجنود . فدعي كرمانوس للمجيء إلى روما وعين فيلكس في مكانه بسبب شكوى بعث بها يوناثان رئيس الكهنة . غير أن الأمر لم يطل حتى دب الخلاف مجدداً بين الحاكم الجديد ورئيس الكهنة الذي

كان يتوقع أن يباشر الحاكم عمله بمعاقبة القتلة من الرومان لكنه لم يفعل شيئاً . ولما ضاق صدره أخذ يخطط سراً لإقناع القيصر بخلعه ، فبادر الحاكم باتخاذ مخطط جهنمي ينطوي على تنظيم جرائم قتل مسرحية ترتكبها عصابات مسلحة في الأزقة ضد من يبدي أي عداء لليهود . فلما استفحل أمرها ووصلت أخبارها إلى روما حاول الحاكم استغلالها بأن نسبها إلى تأثير مظاهرات اليهود على الأغبياء من أفراد الشعب، فحظي بثقة القيصر من جديد واشتد ساعده حتى أوعز ـ على حد قول المؤرخ يوسيفوس وهو يهودي ـ بوجوب اغتيال رئيس الكهنة فاغتالته العصابات في الهيكل وهو يقدم الذبيحة . لم يعقب الاغتيال أي تحقيق قضائي حازم ولم يقتص من القتلة فدبت الفوضى واختل حبل الأمن وزادت موجة الإجرام .

وكان الفقر والضيق الاقتصادي .. فتحول مئات من عامة الشعب إلى لصوص وقطاع طرق للحصول على لقمة العيش حتى أن القرى النائية أخليت من السكان خوفاً من القتل . فلما قام حاكم سوريا العام (جستيس

كالوس) بزيارة للمدينة في فصح العـام ٦٦ اجتمع حوله ألوف من ممثـلي الشعب متوسلين تغيير الوضع ، لكن التوسلات لم تثمر . ثم خطر للوالي (فلورس) فرض ضريبة جديـدة على دخل خزانة الهيكل تبلغ ١٧ وزنـة باسم القيصر تسببت في موجة استنكار واسعة النطاق انتهت بنشوء حالة من التمرد أهابت بالحـاكم إلى استنفار فرق الجيش ومداهمة المتمردين ـ الذين اعتصموا بأبنية الهيكل وضواحيه . لكنه قبل بدء المعركة جلس على كرسيه في قصره الملوكي تجاه برج داود ودعا رئيس الكهنـة ومجلس الشعب للمثول بين يديه . فلمـا امتثلوا طلب منهم تسليم قادة المتمردين ، فرفضوا برغم موافقـة رئيس الكهنة . عندئذ أمر الوالي الجند باقتحام المدينة العليا أي الأحياء الشمالية الغربية وطرد اليهود منها . فتم ذلك على وجه السرعة بعد قتل المئات من سكانها . أما جمـاهير المتمردين واللصوص فاعتصموا في الوادي الفاصل بين الأحياء العليا والأحيـاء الشرقية وضاحية الهيكل .

هكذا هبت الثورة بانقسام المدينة إلى معسكرين

وأخذ كل جانب يستعد للقضاء على خصمه بشتى الوسائل .
وحاول فلورس الوصول إلى معسكر كرسي الولاية (البلاط) القريب من الهيكل حيث كانت توجد غرفة رومانية ، فلم يتمكن بسبب تزايد عدد الثوار وانضمام فئات عديدة من الفقراء والمتشردين إلى جانب الثورة .
ففضل التريث وانسحب إلى قيصرية .

العصيان على روما

اشتد ساعد حزب الثورة المتمركز في الهيكل وجواره بكثرة المؤيدين من داخل المدينة وخارجها فازداد حماسة وتطرفاً بقيادة الشاب المتهور اليعازر بن أنانياس ، حتى دعا إلى إلغاء فريضة التقدمات السنوية للقيصر وأهاب بالشعب إلى إبطال مفعول المعاهدة مع السلطة الرومانية . وأبدى أكثر الشبان ولاسيا المتوسطو الحال والفقراء فكرة الثورة الحقيقية على روما ، لكن قسماً غير قليل من المتقدمين في السن والميسورين شكل « جبهة سلام» هدفها تهدئة الحالة وتجنب الحرب . فانضم أفرادها إلى حزب فلورس وأكريبا وألفوا قوة مشاة من ٢٠ ألف رجل لإخماد الثورة .

انفتح باب الصراع على مصراعيـــه واتسعت شقة الخلاف وزال كل أمل بالشفاء . وتجمع أنصار جبهة السلم في الزاوية الشمالية الغربية المعروفة باسم « المدينة العليا » وتجمع أنصار حزب الثـــورة في الوسط وحول دائرة الهيكل أي شرقي المدينة . الفئة الأولى يقودها أكريبا والجند الروماني ورئيس الكهنة والفئة الثانية يقودها اليعازر بن أنانياس وأعوانه .

وبعد قتـال ضارٍ استمر سبعة أيام استطاع الثوار احتلال الزاوية الغربية ومحاصرة الجند الروماني ورئيس الكهنة في قلعة هيروس (الأمن العام) وفر اكريبا . تابع الثوار هجومهم الشرس بعـــد تضاعف أعدادهم فانسحب الجند إلى الأبراج الملاصقة للسور، فلم تلبث أن سقطت هي الأخرى . وجرى اعتقـال جميع المقاومين بالمئات ، وأعدم الجند الروماني بالإجمـــال ، وقبض على رئيس الكهنة في قبو وحوكم وقتل مع رفاقه . أصبح الثائرون سادة المدينة .. لكن الأمر لم يطل حتى أشرف عليها الحاكم الروماني (سيستيوس) بجيش كبير وهبط عليها من جبل سكوبس وتمكن من اقتحـــام السور

والتمركز شمـــالي الهيكل (بيت حسوا) . فتراجع اليهود واعتصموا بأبنية الهيكل والمدينة العليا . وعبثاً حاول القائد التقدم طيلة نهار كامل من القتال العنيف ، ولما أقبل الليل سحب جيشه إلى الجبل . فاستغل اليهود فرصة تراجعه ليلاً ولحقوا بقواته وحاصروهـــا ، وفي معركة ضارية استمرت ثلاثة أيام أنزلوا بالجيش الروماني هزيمة كبيرة .

لا مفر من الحرب :

أصبحت الحرب الشـــاملة مع روما أمراً لا مفر منه ، وبات معروفاً أن قضية محاصرة القدس من جانب الرومان قضية وقت لا أكثر ، كان ذلك في أول تشرين الثاني سنة ٦٦ . تولى رئاسة الكهنة والقيـــادة العليا أنانياس يعاونه قائدان بارعان ذاع صيتهما في ميدان الثورة على نطاق واسع ، هما يوحنا بن لاوي وسيمون برجوراس .

دعي أفراد الشعب من مدنيين وعسكريين إلى عقد جمعية عمومية تقرر ما ينبغي عمله للمستقبل ، فتبين

وجوب اتباع خطة من اثنتين ـ واحـــدة تريد تجنب الحرب والمفاوضة على أساس الحفاظ على عنصرية يهودية تحت الحماية الرومانيـــة ، والأخرى تفضل الفناء ولا الخضوع لسيطرة رومـــا بعد الفوز الذي تم إحرازه . وجرى الاستفتاء ، فأيدت الأكثرية الساحقة الرأي الثاني واعتقال من يعارضه . وبدأ الاستعداد للجولة الثانية بحشد الأسلحة ومواد الغذاء ، وتقوية الحصون والأبراج، ودعم السور الخارجي بسور آخر داخلي .

من جهة ثانية دعا القيصر الروماني إلى حشد كبير مزود بأحسن المعـدات الحربيـة بقيـادة وزير الحرب تيطس للقضاء على الفتنة .

بدأ تيطس هجومه من الشمال بتمهيد الأرض الواقعة بين الجبل وسور المدينـــة بإزالة الحواجز والحدائق والجدران على مسافة نحو ميل . واستغرق ذلك أربعة أيام أحاط الجيش بعدهـــا بالسور من الزاوية الشمالية الغربية إلى قلعة هيرودس وباب يافا . وكانت الخطوة الثانية محـــاولة اقتحام السور الأول من الوسط حيث الأرض تكاد تكون على منسوب واحـد بالنسبة إلى علو

السور والأبراج . أما الدفاع من الداخل فكان من جانب قوات سيمون . في هـذه البقعـة شيد الرومان متاريس متصلة بسدود تربطها بالسور وأخذوا يقذفون أسفله بالمنجنيق حتى تمكن أحدها من إحداث ثغرة فيه . هنا بنى الرومان ثلاثةأبراج ارتفاع الواحد منها خمسة وسبعون قدماً فتجاوز علوها علو السور . في الوقت نفسه كانت القوة المرابطة على جبل الزيتون تطلق المشاعل الطائرة (صواريخ) بواسطة المنجنيق بقصد إحداث الحرائق والدمار في الأبنيـة والأكواخ المحيطـة بالهيكل فأصابت أهدافاً عديدة .

رأى اليهود ثغرة السور الشمالي تتسع فتيقنوا من قرب انهياره وانسحبوا من مراكزهم معتصمين بأبراج وحصون السور الثاني كما فعلوا وقت حصار نبوخذنصر. كان ذلك في ١٥ نيسان سنة ٧٠م يوم دخل الجيش المدينة من الثغرة بكثافة وأخذ يهاجم السور الثاني بالطريقـة ذاتها حتى نجح في فتح ممر ضيق فيه ، نفذ الجنود منـه نحو وسط المدينة الفاصل بين المدينة العليا والهيكل. لكن المهاجمين فوجئوا بمقاومة ضارية من جانب العصـابات

اليهودية التي كانت كامنة في مخابىء الأزقة الضيقة الكثيرة المنعطفات والمنافذ الخفية . كما تكبدوا خسائر فادحة لم يكن تيطس يتوقع حصولها. ومع ذلك دفع بفرق عدة إلى الأمام واحتل المنطقة الواقعة شمال الهيكل وقلعة انطونيا (البلاط) . وأخذ جنوده يستعدون للجولة التالية لاحتلال هذين الموقعين . وفي خلال ثلاثة أسابيع تمكنوا من إقامة قاعدتين للهجوم ، لكن القاعدتين تهدمتا عند بدء المعركة بواسطة ألغام حفرت تحتها من الجانب المقابل وأشعلت النار في جوفها بقوة أدت إلى انخساف الأرض .

وأصبح ثلثا المدينة في يد تيطس . لكن بدا أن أكثر من نصف المعركة ما زال ماثلاً لأن المدينة العليا . عة داود وأبراجها العالية ، تقوم في الوقت ذاته على أعلى بقعة وتشرف على كل أجزاء المدينة . هناك تجمعت كل قوات اليهود بقيادة سمعان ويوحنا . وتجاه الزاوية الشمالية ـ الغربية تركزت كل قوات تيطس ومعداته الثقيلة . وفي ١١ أيلول بدأ الهجوم على إضعاف نقطة وجدها القائد مناسبة . في اليوم التالي نجح الرومان في

إحداث ثقب فيه أتاح لهم الولوج بكثرة إلى مهاجمة الأبراج. فلما شاهد القائدان اليهوديان الجند يدخل أركنا إلى الفرار محاولَين الإفلات من طوق الحصار الروماني فلم يتمكنا . وأخيراً استسلما مع سائر المحاربين وبقية الشعب .

الافناء :

أخذ الجيش الروماني بعد انتصاره في تصفية أفراد الشعب والمحاربين والمدينة بشكل عام ، فالذكور من سن ١٧ فما فوق قُتلوا جميعاً ودفنوا في الخنادق التي تطلبتها حاجات الحرب . والنساء والأولاد جرى بيعهم علناً في ساحات عامة لمن يريد. كبار القادة تقرر نقلهم إلى روما لعرضهم على الشعب في ساحات الإعدام. الهيكل والقصور والأبنية والمتاجر والشوارع صدر الأمر بوجوب هدمها وإحراقها بصورة لا تبقي لها أثراً على وجه الأرض ، لم يبق هنالك سوى الأبراج الثلاثة والانطونيا التي جرى الحفاظ عليها لتكون ملوى للحامية الرومانية . أما بقية المكان فظل خالياً خاوياً من أي أثر لمعالم الحياة مدة

خمسين سنة بعد تيطس . وقال المؤرخ يوسيفوس ان من كان يلقي نظرة على أرض القدس بعد هدمها لم يكن يصدّق أنها كانت فيما مضى مكاناً مسكوناً .

وكان لهزيمة اليهود وزوال العنصرية اليهودية عن القدس وعموم فلسطين إشارة بالغة للمسيحيين الذين تذكروا بها كلام المعلم فهبّوا للعمل على قدم وساق . كتبوا الأناجيل الأربعة والرسائل وسفر الرؤيا والأعمال بكل حرية . وكانوا قبل ذلك ممنوعين من دخول القدس وبقية المدن اليهودية . ثم انصرفوا إلى التبشير بما تعلموه (كتب الانجيل ما بين السنة ٧٠ ـ ١١٠ م) .

محاولة أخرى :

مرّ خمسون سنة على هدم المدينة بواسطة تيطس من دون أي ذكر لها في التاريخ . لكن سنة ١٣٢ ميلادية في عهد الامبراطور (هدريان) تمكن يهود سوريا وفلسطين من تشكيل تنظيم عسكري سريّ برئاسة (كوشيبا) وحامل سلاحه (أكيبا) لم يلبث حتى جمع معظم القادرين على حمل السلاح على أطلال اورشليم وبدأ

المتمردون ببناء السور والهيكل بعدما تغلّبوا على الحامية الرومانية المحيطة بالمكان . تعجّب (هدريان) من سرعة تنظيم المؤآمرة ومن نجاحها المفاجىء فاستدعى أقدر قادته (يوليوس سيفيروس) من الجزر البريطانية وأمره بالتوجه إلى الشرق لإخماد الثورة . بعد سنتين من حرب عصابات مضنية فوق وحول خرائب اورشليم تمكن الرومان من سحق الثورة التي كلّفت الجانبين خسائر جسيمة في الارواح بلغت مئات الألوف . وقرر القيصر إعادة بناء المدينة باسم جديد ، على أن تكون مستعمرة رومانية يحظر على اليهود دخولها . وأقام في أماكنها المقدسة معابد لـ ـ جوبيتر وعشتاروت . ولم يسمح لليهود بدخول المدينة إلا في اواسط القرن الرابع للميلاد ، وذلك مرة واحدة في السنة في عيد الفصح .

أورشليم المسيحيّة :

قبل بداية القرن الرابع كانت المدينة أصبحت بلدة مسيحيّة يحكمها الأساقفة ويتوافد الحجاج إليها من الاقطار المجاورة لزيارة أماكنها المقدسة. وفي السنة ٣٢٦

زارتها الامبراطورة (القديسة) هيلانـة وبنت الكنيسة المعروفـة بكنيسة القيامـــة وكنيسة المهد في بيت لحم وكنائس أخرى . ثم أتبعها ابنها الامبراطور قسطنطين فأزال المعابد الوثنية ، وأقـام مكانها كنائس في عـــدة أماكن من المدينة . في المئة سنة التـــالية تضاعف عدد الحجاج إلى المدينة وتـكاثر أصحـاب النظريات اللاهوتية المتناقضة حيال مواضيع دينية إلى عقد المؤتمر الكنيسي الأورشليمي (٥٣٦) مثبتاً مقررات مؤتمر القسطنطينية . وقرّر المؤتمر جعل أبرشية اورشليم مركزاً لبطريركية.

سنة ٦١٤ ميـلادية زحف (كسرى الثـاني) ملك فـارس على رأس جيش كثيف على انطـــاكية ودمشق واورشليم فاحتل المـدن الثلاث طـارداً القوات الرومية والاساقفة والرهبان. وقد انضم إلى الجيش الفارسي كثيرون من يهود الساحـل من انطاكية إلى الجليل وساعـــدوا الفرس في هدم الكنائس وإحراق كنيسة القيامة وذبـح المئات من الرهبان وسكان الأديرة . لم يتركوا اثراً لشيء ذي قيمة في قصور المدينة وأماكنها المقدسة .

لكن قوات الروم عـادت سنة ٦٢٨ فهاجمت المغيرين

من الشمال ومن الجنوب بقيـادة (هرقيوليس) وتمكنت من استعـادة المـدن الثلاث . وأخذ القادة والرهبان في إصلاح ما تيسّـر لهم في الكنائس والأماكن المقدسة .

على ان عهد الروم في اورشليم كان قد قـارب النهاية بالزحف العربي الذي أطـــلّ على الشرق من الجنوب . احتلّ العرب أولاً دمشق وبرّ الشام بقيادة أبي عبيدة ، ووصلت أخبـار قسوته على الرومان في الشام إلى آذان المسيحيين في اورشليم ، فرفض حـــاكمها البطريرك (سفرونيوس) تسليم المدينة له ، وطلب حضور الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه فيفتح له الأبواب. فحضر الخليفة عمر بنفسه ٦٣٧ واستقبل البطريرك على باب المدينـة ، وأملى عليه شروط الاستسلام فإذا بها تتضمن من الرقة وروح المحبة ما لم يرو للتاريخ مثيلاً له في فتوحات الحرب . وطلب من البطريرك أن يرشده إلى بقعـــة مقدسة يبني عليها المسجد فدله على صخرة كبيرة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى ومنح المسيحيين حرية الصلاة والعبـادة في كنائسهم وركع هو على درج كنيسة القيامة في وقت الصلاة وصلـى .

في عهد جمهورية شارلمان الغربية الفرنسية أرسل الامبراطور إلى الخليفة هارون الرشيد تبرعات وهدايا كي يوزعها على سكان العاصمة المقدسة وقد جاوب الرشيد بإيفاد بعثة حملت هدايا أثمن منها ومفاتيح كنيسة القيامة والقبر المقدس* .

بعد سقوط العبّاسيين وانتقال الخلافة إلى الفاطميين في القاهرة بلغ اضطهاد المسيحيين في القدس (اورشليم) حده الأقصى لا سيما في عهد الخليفة الفاطمي (الحاكم) الذي أمر بهدم كنيسة القيامة (٩٦٩ ـ ٩٩٦) ولم تبنَ ثانية حتى سنة (١٠٤٨) .

في القرن الحادي عشر كانت القدس مورداً خصباً للسياحة لكنها لم تلبث حتى سقطت بأيدي السلاجقة والتركمان الذين اشتهر منهم (الغازي وسقمان) . بالغ الحكام في ابتزاز الحجاج الوافدين من الغرب لزيارة المدينة إلى حدٍ أثار عليهم حكام أوروبا المسيحيين ، وكان عاملاً مباشراً لقيام الحروب الصليبية .

في صيف سنة ١٠٩٩ أحاطت جيوش الصليبيين المؤلفة من انكليز وألمان وفرنسيين بمدينة القدس (نحو

* هذا ما ادعته الحروب الصليبية ، ولم يذكره المؤرخون العرب .

أربعين ألف مقاتل) وبعد نحو شهر احتلتهـا وعينت أحد القـادة (كودفري) ملكاً عليها . شيد الصليبيون عدداً من الكنائس ، والأبنية المحصنة ، ودور السياحة في عدة أماكن أثرية في القدس ، وبيت لحم ، وعلى جبـــل الزيتون . في سنة ١١٨٧ استعـــاد صلاح الدين الأيوبي المدينة وعامل الصليبيين الأسرى بكثير من الرأفة. وسنة ١٢١٩ وضعت تسوية من جانب الامبراطور فريدريك الثاني والسلطان الكامل بشأن مستقبل المدينة قضت بهدم الأبراج والتحصينات والسور وإطلاق الحرية للمسيحيين والحجاج بالتجول والسكن. ثم في ١٢٤٤ تعرضت لغزوة تترية قضت على عدد كبير من الرهبان ورجـــال الدين وتهدمت كنيسة القيامة ونهبت قصور الأثرياء . بعد ذلك انتقلت السيادة عليها ليد سلاطين مصر . سنة ١٣٧٧ ألحقت إسمياً بمملكة صقلية إلى أن استولى على المنطقـة كلها ١٥١٧ السلطان العثماني سليم الأول ، وخلفه السلطان سليمان . إلى هذين يرجع الفضل في وجود السور الحالي الذي بني أصلاً لحماية المدينة وأماكنها المقدسة من غزوات المعتدين في نحو السنة ١٥٤٢ .

في مدة الحكم العثماني الذي استمرّ نحو أربعمئة سنة لم تقع حوادث هلمة في القدس، ولم تطرأ عليها تغييرات، ذلك أن السلطنة كانت تحرص على مسايرة الدول الغربية من جهة ، وحماية الأماكن المقدسة من جهة أخرى ، لأجل سلامة الحجاج والزوار الأجانب . سوى أنه سنة ١٨٣٢ احتلتها قوات محمـــد علي الكبير (باشا مصر) . وسنة ١٨٣٤ سيطر عليها جماعة (الفلاحين)، وسنة ١٨٤٠ على أثر ضرب مدينة عكا بالمدفعية الفرنسية احتل العثمانيون القدس من جديد .

شهادة التاريخ :

النبذة التي ورد ذكرها عن تاريخ القدس منـــذ ظهورها تبيـن للقارىء كيف أن المدينة كانت على مرّ الأجيال وتعاقب الأمم محور النشاط العـــالمي سياسياً واقتصادياً ، وهوذا التاريخ يعيد نفسه اليوم .

في ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن الحـــالي اتّـضح أن اليهودية العالميـــة تملك القسم الأوفر من الرساميل في أوربا التي كانت تقبض على زمام السلطـــة

العالميــة . ومتى تامّنت السيطرة الاقتصـادية في مجتمع عامر يصبح النفوذ السياسي من تحصيل الحاصل .

إن السبب الذي من أجله نشبت الحرب العالميـــة الأولى ، يبدو اليوم تافهاً جداً إذا قيس بما سفك فيها من دماء أو مات بسببها من الجوع والمرض .

ويبدو واضحاً أن السبب المذكور كان عذراً لتنفيذ مخطط سياسي استعماري يهودي يتوخى بالدرجة الأولى اقتسام تركة (الرجل المريض) أي الدولة العثمانية ، وفي مقدمتها الأرض المقدسة أي فلسطين .

وكانت أحلام الصهيونية والاستعمار مهيمنـــة على السياسيين في أوربا فافتعلت ـ أو انها استغلّـت ـ حادثاً صبيانياً وقع في صربيا وانبرى كل من بريطانيـا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا وتركيا إلى إعلان الحرب ..

ما كادت الحرب تندلع حتى بادر (لويد جورج) رئيس الوزراء البريطاني إلى إعلان وعد وزير خارجيته (بلفور) لليهود بإنشاء دولة يهودية في فلسطين حالما يتم النصر للحلفاء .

كان ذلك إشارة بدء العمل ليهود ألمانيا ذوي النفوذ

المادي الواسع في المؤسسات الاقتصادية الألمانيــــة لشل أجهزة الدولة وتضييق سبل المعيشة وإثارة القلق في قلب الأمة حتى اضطرت أخيراً لطلب شروط الاستسلام في حين أن الجيش الألماني كان لا يزال يحتل أراضي فرنسية.

لم تنطل المؤامرة على كثيرين من ضباط وقادة الشعب الألماني وفي مقدمتهم هتلر ورفـــاقه ممن أسسوا الحزب النازي الذي اتخذ شعاره الأول اضطهاد الشعب اليهودي.

انتهت الحرب العالمية الأولى وتم اقتسام الغنائم بين الحلفاء بموجب معاهدة (فرساي) المشهورة وابنتهـــا (عصبة الأمم) التي كانت مهمتهـــا المحافظة على غنائم المنتصرين بقدر المستطاع .

اقتسمت كل من فرنسا وبريطانيا منطقـــة الشرق وسط وقسّمتها إلى دول وضعت تحت الانتداب. وطبعاً وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني . وكان بديهياً ن يعين عليها حاكم بريطـــاني (يهودي) هو هربرت صموئيل ..

فكان أول عمل قام به المندوب السامي البريطاني على

فلسطين فتح باب هجرة اليهود (إلى فلسطـــين) على مصراعيه ..

بتسلم الانكليز سلطة الانتداب على فلسطين في أول العشرينـات ابتدأ نضـال الشعب العربي الفلسطيني في سبيل أرضه ووجوده . كنت في ذلك الحين تلميذ جامعة وكنت أقرأ قصص التضييق والتآمر والتحامل على السكان العرب في الصحف الفلسطينية ــ (الجامعة العربية) ــ التي كانت تصدر في القدس ، و(فلسطين) اليافاوية .

بدأ اليهود تجمعهم العنصري بتأسيس (تل أبيب) بين حيفا ويافا على أن تكون نقطة الانطلاق للمستقبل . خمس عشرة سنة مرت والعرب يكافحون لمنع الهجرة وبيـع الأراضي ونيل الحكم الذاتي . لكن النيّـة المبيّـتة كانت تعرقل جميع هذه المطـالب حتى لم يبق من سبيل أمام أكثرية العرب سوى الأخـــذ بعصيان مدني وثورة أهلية ضد إقامة المهاجرين اليهود الذين تفاقم أمرهم بعد تسلم هتلر زمام السلطة في ألمانيا .

كان هتلر قد توفّـق باستمالة أكثرية الشعب الألماني إلى مبادىء حزبه النازي ، فأحرز بانتخابات حرة أكثرية

برلمانية رفعته إلى سدّة الرئاسة . وكان بديهياً أن يبتدىء باضطهاد اليهود الألمان ومنعهم من ممارسة أي نشاط اقتصادي ونبذهم من المجتمع الألماني . فهرب قسم كبير منهم إلى خارج ألمانيا الهتلرية وشرع في تحريك المنظمات اليهودية العالمية في سائر أوربا والولايات المتحدة (حيث يتمتع اليهود بميزات عالية) من أجل تطويق ألمانيا الهتلرية وتصفية النازية . وهكذا زجّت الولايات المتحدة نفسها في حرب أوربية لا ناقة لها فيها ولا جمل .

عندما تأكد فوز الحلفاء ، أخذت أجهزة اليهودية العالمية تضغط على الحكومة البريطانية بصفتها دولة منتدبة على فلسطين ، كي تنفّذ ما تعهدت به في وعد بلفور. فتخوّف تشرشل من عاقبة العمل وطلع (بكتاب أبيض) حاول فيه أن يتملّص من وعد بلفور بالقول : أن الحكومة البريطانية كانت قد تعهدت لليهود بكيان يهودي (في فلسطين) وأن التعهد لا يشمل (كل) فلسطين ــ وهكذا تكون بريطانيا قد وفت بوعدها لهم بتسهيل تجمعهم وسكنهم في (تل أبيب وضواحيها) !

كان قد توهّم أن مركزه المتين في قلب الأمة

كالمنتصر الأول في الحرب العالمية الثانية يؤهله للوقوف بوجه اليهودية العالمية، لكن ظنه خاب وأصيب بنكسة أذهلت العالم عندما فشل بانتخابات تلك السنة وفاز عليه (الماجور اتلي) زعيم العمال الذي كان تشرشل يضعه في جيبه . كان ذلك دليلاً على النفوذ اليهودي الكاسح الذي مارسه الصهيونيون في بريطانيا بسبب الكتاب الأبيض .

وبفشل المحافظين في انتخابات ١٩٤٥ طويت سيرة الكتاب الأبيض وسارت حكومة اتلي العمالية في سياسة معاكسة لمفهومه .

في الوقت نفسه كانت اليهودية العـــالمية قد نقلت قواعدها الرئيسية من أوروبا إلى الولايات المتحدة وباتت الحكومة الأميركية و (الكونغرس) آلة طيّعة تسيّرها وسائل الإعلام الصهيونية إلى جانب النفوذ الرأسمـــالي والمصالح الانتخابية .

في فلسطين كان الصراع العربي ـ اليهودي قد بلغ حدّه الأقصى حتى صار من المتعذّر تنفيذ حكم محايـــد يتمكن من ضبط الأمن وإرضاء الجانبين ، فبـــادرت

الحكومة البريطانية إلى إعلان رغبتها في الجلاء عن البلاد في موعد عيّنته .

أعلنت جامعة الدول العربية عزمهـــا على احتلال فلسطين بعد ما زوّدت اليهود بقسم وافر من معـدات الجيش البريطاني . فاعلنوا (دولة إسرائيل) مبتدئين من مثلث تل أبيب . ووقع سباق بين كل من حكومة الولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفياتي واوروبا من جهة ثانية (نحو الاعتراف) بإسرائيل فكان الفوز لحكومة (ترومن) ...

كان بديهياً فوز اليهود بكيان سياسيّ قوي يتّـخذ كنقطة انطلاق . فرحل أكثر سكان الساحل الفلسطيني إلى الدول المجاورة على أمل العودة بعـــد اسبوعين على الأكثر . وبقي اللاجئون الفلسطينيون في ملاجئهم إلى اليوم . وبعد بضع سنوات قامت إسرائيل بالاتفـاق مع بريطانيا على تدبير مؤامرة بورسعيد وتمكنت من ضم النقب ومساحات جديدة إلى حدودها .

في حرب الستة أيام (حزيران ١٩٦٧) استطاعت اسرائيل التغلّـب على الجيوش العربيـــة بتفوق جويّ

كاسح من الطيارات والطيـارين عن طريق القوة الجوية الأميركية الضاربة في فيتنام ـ وبذلك تمكنت من احتلال الضفة الغربية كلها بما فيها القدس والجولان ، ثم قطاع غزة وسيناء حتى الضفة الغربية لقناة السويس .

أدان مجلس الأمن إسرائيل وأقرّت هيئـــة الأمم وجوب انسحابها من جميع الأراضي العربية المحتلة ، لكن القرار لم ينفّـذ ولم يكن له أي أثر على ما وقع بعده من حوادث مفجعة . رغم جميع الاحتجاجات والمطالبـات المتكررة من جانب كل الدول الأعضاء في المنظمة الدولية بقي كل شيء على حاله . لماذا تعقد الجلسات وتنـاقش المواضيع وتتخذ القرارات ما دامت ستظلّ حـبراً على ورق ؟ لماذا تتكبّـد الدول أعباء نفقات الوفود المرسلة لحضور جلسات الهيئة الدولية ، وتلقى الخطب البليغة والبيانات الفصيحة دون نتيجة ملموسة ؟ كيف يصدر حكم لا يعقبه معاملة إجراء ؟ إنهـــا هيئات عالمية يؤلّـفها كبار المتشرّعين الدوليّـين ـ تقوم بتمثيليـــات ومسرحيّـات يخجل من القيام بمثلها صغار الأولاد .

اقوال الانبياء في مصير القدس

مصير القدس يحدد مصير العالم :

نردّد هنا ما ذكرناه سابقاً أن القدس تمثل حجر الزاوية في الغاية المقصودة من وجود الانسان على الأرض وأننا كلما تعمّقنا في دراسة رموز ووقـائع التوراة والانجيل وسائر الكتب المقدسة ، وكلما تصفّحنا أقوال الأنبياء فيما يتعلق بالمستقبل ـ تصبح هذه الحقيقة أكثر وضوحاً في أذهاننا . تاثيرها الروحي على الأنفس بصفتها مهبط الوحي والايمان جعل النشاط العالمي يدور حولها ويرتبط بها بشكل ما . ولا يستغربن أحد في هذه الحالة أن يحدد مصيرها مصير العالم .

الأمل بمسيّا ـ المسيح المرتقب (الملك) :

الأمل بمسيّا (بمنقذ أو بمخلّص) يعدّ من أهم مواضيع العهد القديم من التوراة، وقد شغل اهتمام الأنبياء جميعهم وكان حديث الناس في الهياكل والمجتمعات مدة ألف وخمسمائة سنة تقريباً . وردت العبادة لأول مرة على لسان موسى كليم الله إذ قال ان الله يرسل مخلّصاً من عنده عندما يحين الوقت المناسب لذلك .

فسّر اليهود كلمة منقذ بمعنى ماديّ زمني ـ أي أن الله سيرسل المخلص والمنقذ عندما يتعرض الشعب اليهودي لدرجة قصوى من التشرّد والاضطهاد ، ويصبحون بامس الحاجة إلى مخلّص . بعد موسى بنحو ألف سنة ظهر (أشعيا) أحد أبرز أنبياء التوراة وأوضحَ بكل جلاء أن المسيح الموعود به ياتي لينقذ الخطاة من الناس ويمنحهم الحياة الأبدية . وبيّن من السفر المعروف باسمه أن للكلمة معنى روحياً لا زمنياً . فأثار غيظ الكهنة والعنصريين من اليهود وما لبثوا حتى قتلوه . ثم جاء (دانيال) وهو من أبرز أنبياء السبي فايّد أقوال أشعيا وعيّن زمن مجيء المسيّا بسبعة

أسابيع أيام سنين (٤٩٠ سنة) بعد رجوع اليهود من سبي بابل .

جاء المسيح في الوقت المعين وقام بتأدية رسالته على أكمل وجه ولكنه عبثاً حاول إقناع الكهنة والرؤساء اليهود أنه هو المسيّا الموحى به ، وأن هدف مجيئه إنقاذ الناس من حكم الموت الأبدي والتبشير بحياة أبدية للتائبين والمؤمنين . كان العهد الذي ظهر فيه المسيح عهد بلوغ الأمل بمجيء المسيّا حده الأقصى من الانتشار بين جميع طبقات الشعب .. كان حديث عامة الشعب من فلاحين وعمال وصيادين وأجراء . ذلك لأن الشعب اليهودي تعرض تحت نير الحكم اليوناني ثم الروماني لمرحلة من القسوة والاضطهاد والقتل والتعذيب لم يتعرض لمثلها في تاريخ ويلاته . فأمسى بأمسّ حاجة إلى منقذ . حتى أن تلاميذ المسيح كان يخامر تفكيرهم شيء من الظن بصحّة المفهوم العنصري اليهودي بشان (المسيّا) وكانوا يسألونه في بعض المناسبات قائلين : (هل اليوم تردّ الملك لإسرائيل) ؟..

انطفاء سراج الأمل :

بعد ما هدم الرومان (تيطس ـ ٧٠ م.) مدينـة القدس عن آخرها وقتل جميع سكانها من الذكور وباع النساء والأولاد وشرّد سكان المناطق المجاورة لها ـ لم يبق لليهود أي وجود جماعي في أي مكان من الشرق الأوسط . وكان الذين نفاهم الآشوريون والكلدانيون وغيرهم قبل ذلك التاريخ قد رحلوا شمالاً عبر تركيا والبلقان ، ومن هنالك تفرّقوا على المقاطعـــات التي كانت تشكل جسم الامبراطورية الرومانية وصارت فيما بعد دول اوروبا من الشرق إلى الغرب . بذلك انطفأ سراج الأمل بسيّا من القلوب وانصرف اليهود إلى الامور المالية والتجـــارية بكل جدّ ومثابرة مئات السنين. احتفظ اليهود بطابعهم العنصري الخاص رغم انخراطهم بمجتمعات الدول الغربية وجنسياتها المتعددة، وكانوا بكل براعة يتجنّبون الانزلاق في تيارات النزاع على السلطة ، والسعي وراء الشهرة ، وحب الظهور . وبسبب ما كانوا قد اكتسبوا من خبرة مدنيات الشرق استطاعوا إحراز تفوق كبير على سائر السكان في مجتمعات الغرب ، لا سيا في مجالات الاقتصاد

واحتكار وسائل الربح . مر نحو ألف وثمانمئة سنة على هذا الوضع فيما يتعلق بهم ، فاصبح القسم الأكـــبر من رؤوس الأموال ، في الدول الأوروبية ، في أيد يهودية .

في أواخر القرن التـــاسع عشر خطر طارىء على أذهان فئة من كبـار الاقتصاديين اليهود يحثهم على العمل من أجل إعادة الكيـــان العنصري اليهودي إلى الوطن الذي كان يشغله في زمن التوراة . وهكـذا نبتت فكرة (المسيا) من جديد في عقول المتدينين منهم ورجع الحلم بعودة مجد سليمان إلى سابق عزه ، وتكونت نواة الصهيونية ، وأخذت الأموال تتدفق على المروجين لها من جميع الجهات .

ماذا تعني الصهيونية :

تعني عودة مجد إسرائيل الغابر الذي بدأ بعهد الملك داود باني أورشليم والذي بلغ ذروته في عهد ابنه سليمان مروراً بوعد موسى القائل ان الله يرسل في آخر الأيام منقذاً كبيراً يخلّص شعبه .

من هو المقصود بعبارة (شعبه) ؟

شعب الله هو الشعب الذي يؤمن بـه ويعبده . في العهد القديم أي في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآيات كان الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد المؤمن بالله. وبديهي أن يفهم منها أنه الشعب المقصود. وقد بقي الشعب (المؤمن الوحيد) إلى أن ظهر سيدنا عيسى (المسيح) وأوضح للشعب أنه هو المنقذ المنتظر الذي يأتي ليخلص المؤمنين بالله من الموت الأبدي . ولما أصروا على رفضه أعلن أنه جاء إلى خاصته (أي المؤمنين) وأن خاصته لم تقبله . وأثبت في قوله (يأتون من المشارق والمغارب يتكئون في حضن إبراهيم وأنتم (أي اليهود) تطرحون خارجاً - أثبت أن ليس فيما ترمي إليـــه آيات الله أي مفهوم عنصري .. لكن الصهيونية تتمسّك بعنصرية الموضوع وبأن اليهود كانوا شعب الله الخـاص وسوف يبقون كذلك .

أصل الكلمة :

صهيون اسم لقلعة يبوسيّـة (كنعانية) جبـــارة كانت مبنية على أعلى تلة من تلال القدس ، وكانت من

المناعة بحيث أن شهرتها بلغت مسامع ملوك جميع مدن وإمارات الشرق . حاصرها رجال الملك داود في آخر محـــاولة سنة ١٠٢٦ ق. م. واستماتوا حتى تمكنوا من احتلالها وبذلك تم للملك ما كان يحلم به وجعل(اورشليم) عاصمة مملكته . أصبح القسم الذي يحيط بالقلعة من ذلك الحين رمزاً لعظمة داود وسموه وصارت (صهيون) شعار المجد والجلال والهيبة لمملكته من بعده، وقد تغنّى بذكرها الأنبياء والمؤرخون إلى عدة قرون .

ثم ان وقوع قلعة صهيون في مكان مقدس عند الله، وفي مكان كتبت فيه التوراة والانجيل جعل للكلمـــة معنى روحياً ساحراً كان له على مرّ التاريخ عبرة في أذهان المؤمنين من جميع الطوائف . ففي فصول التوراة والانجيل وفي المزامير والترانيم الكنسية ، وفي الكثير من صفحات الكتب التاريخية تتردد كلمة صهيون عند كل مناسبة .

هذه الأسباب أهابت بالعنصريّـين اليهود إلى اتخاذ كلمة (صهيون ـ والصهيونية) شعاراً لحركتهم في محاولة بعث مجد إسرائيل ومملكة داود وسليمان في أرض

فلسطين، متذرعين بما لها من تأثير روحي في أنفس الناس في الأوساط الدينية ، لاسيا في الغرب. وذلك على أساس أن داود رفع بيرق مملكته ـ نجمـــة داود ـ أولاً فوق قلعة صهيون ـ برج داود ـ وأنه مؤلف المزامير وقسم وافر من التوراة ـ مروراً بأنقاض الحلم اليهودي القديم المعروف بـ (الأمل بمسيا) المنقذ الذي توهـّم الأقدمون منهم انه سيعيد الملك لإسرائيل ...

ماذا تقول الكتب المقدسة :

المدينـــة المقدسة التي أنجبت التوراة والانجيل هل تباخل عليها الأنبياء بكلمات تشير إلى مستقبلها البعيد ـ إلى مصيرها ؟ حاشا .

لم يترك الأنبياء مناسبة طارئة إلا واستخدموهـــا للدلالة على ما سيطرأ على الأرض المقدسة في آخر الأيام من وقائع تقرّر بحد ذاتها مصير العالم كله .

ترتبط النبوءات المتعلقة بمصير العـــالم في المستقبل البعيد ارتباطاً وثيقاً بما يطرأ على القدس (أورشليم)، ومن هنا تسير في اتجـــاهين ـ قسم يصف الطوارىء

السياسية والعنصرية والجغرافية ، وقسم يورد تواريخ حسابية رقمية مبنية على حوادث ووقائع تاريخية معينة .

وتبدو التنبؤات لأول وهلة غامضة وصعبة وقابلة لعدة تفاسير . وقد أدّت فعلاً لظهور تناقضات وتفسيرات لم تكن صحيحة ، لكن الأمر لا يثبت كونها غير مقدسة وغير موصى بها ــ وبالتالي لا يجيز لنا أن نطرحها خارجاً ــ لاسيما وأن الذين كتبوها قالوا انها ستبقى غامضة زمناً طويلاً وأنها تتوضح أخيراً في أوقاتها لأن المعرفة تزداد .

الطوارىء السياسية :

في الانجيل يتحدث السيد المسيح كيف أنه سوف يجيء في اليوم الآخر مع جميع الأنبياء والقديسين على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، وفيما هو جالس على جبل الزيتون ساله تلاميذه على انفراد عن وقت وعلامات مجيئه وانقضاء العالم ؟ فقال : إن الوقت يتسم بقيام أمة على أمة ونظرية على نظرية ومشاكل غير قابلة الحل وفوضى اقتصادية عالمية وحيرة وقلق على المستقبل وضيق لم يكن مثله ضيق ، وأخيراً تقوم رجة الخراب

في المكان المقدس ـ مكان الهيكل والمسجد الأقصى ـ (ومتى رأيتم جيوش العالم تحيط باورشليم فاعلموا أن زمن افتقادها قد أتى .. من كان على سطح بيته فلا ينزل ومن كان في الحقل فلا يرجع ..) .

في مكان آخر من الإنجيل توضيح أبعد من هذا عن ظروف وأحكام وقوع الحوادث الأخيرة ، لأن التوضيح يأتي جواباً على أسئلة متعددة يوجهها المؤمنون :

(من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه .. لا يخدعنّكم أحد على طريقة ما ، لأنه لا يأتي ما لم يأت الارتداد أولاً .. ويستعلن إنسان الخطيّة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً حتى إنه يجلس في هيكل الله مظهراً نفسه أنه إله ... ٢ تس ٢) .

من هو المقاوم والمرتفع على كل ما يختص بالمسيح ، الذي يجلس في الهيكل قائلاً انه المسيح ؟

إنه المسيخ الدجّال ـ الذي يجلب ظهوره الخراب والدمار على المكان المقدس .

حركة الارتداد :

ما المقصود بحركة الارتداد؟ ماذا تعني كلمة ارتداد؟ كلمة ارتداد تعني الرجوع إلى موقع سابق أو عقيدة قديمة . ولما كانت واردة في موضوع ديني مرتبط بالتوراة ومجيء المسيح والقيامة وعلامات الأيام الأخيرة ، فلا شك في أنها تعني عودة شعب التوراة إلى عقيدة (الأمل بمسيّا) المنقذ الذي يعيد لليهود مجد داود وسليمان ـ فحركة الارتداد هي الصهيونية العالمية .

كان الأمل بمنقذ جبار « مسيَّا » قد غاب عن ذهن الشعب اليهودي من حرب تيطس ٧٠ م. حتى أواخر القرن الثامن عشر ، لكن تعاظم النفوذ اليهودي في اوروبا والعـالم بعث هذا الحلم في رؤوس جماعة منهم من جديد لكي يتم ما قيل عنه في الانجيل والرسائل .

وما دام أن الواقع الذي أشارت إليه الرموز والتنبؤات بخصوص المسيح قد تمَّ حرفياً بمجيئه في وقته المعين بواسطتها فإن مصير فكرة المسيّا الجديد هو الفشل المحتَّم وقصَّتها تكون مزيفة ...

النبوءات الحسابية :

يورد الأنبياء في أحاديثهم عن موضوع اليوم الآخر ووقت المنتهى وزمن النهاية ويوم الدين جملة آيات مبنية على وقائع تاريخية يمرّ عليها أعداد معينة من السنين . حاول المفسّرون مراراً حلّ رموزها فلم يتوفقوا . بعضهم عيّن الأوقات المقصودة ، فجاء الوقت ولم يقع شيء مما قيل ، والبعض الآخر حاول وضع تفسيرات تخرج بها عن موضوعها الأساسي ـ موضوع تعيين السنة أو الزمن المقصود . لكن ذلك لا يجوز أن يثنينا عن محاولة التفسير مرّات جديدة ، لأننا إذا لم نفعل نكون قد أنكرنا مفهوم الآيات وقدسيّة الوحي .

حاول المؤلف بعد دراسة عميقة للموضوع استغرقت عشرات السنين التوصل إلى تفسير يجمع مرامي نبوءات المستقبل البعيد بقدر المستطاع في اتجاهٍ واحدٍ يجعلها تنصبّ على نقطة واحدة وزمن واحد ـ باعتبار أنها على رغم تباعد قواعد انطلاقها عن بعضها تتّحد في الدلالة على أمر واحدٍ هو وقت المنتهى ... فتوصّل إلى أنها تشير إلى تاريخ واحد يقع في نحو السنة ١٩٧٥ كحدٍ

لنهاية نظام العالم الحاضر . وبداية عالم جديد . « صدر الكتاب الأول سنة ١٩٤١ في مكتبة المكشوف في بيروت والكتاب الثاني ـ اليهودية العالمية ـ عن دار الثقافة ١٩٥٤ بيروت » . أما نقاط البحث فيمكن تلخيصها على الوجه الآتي :

١ – السبعة أزمنة :

أنبأ موسى اليهود أنهم في حال ارتدادهم عن وصايا الله وخروجهم على تعاليمه للمرة الأخيرة ينبذهم الله من أمامه إلى الأبد ويذريهم بين الأمم ويكونون مشتتين حتى تسبت الأرض ـ تبلغ الدرجة السابعة ـ أي تدرك التمام (النهاية) مدّة سبعة أزمنة .. عبّر دانيال النبي في كتابه النبوي عن مدة ثلاثة أزمنة مساوية لِـ ٢٥٨٠ سنة ... « للمراجعة ـ لاويين ٢٥ : ٢ و ٢٦ : ٣٤ » ـ « دانيال ١٢ : ٧ ـ ١١ » ـ

حاصر نبوخذنصّر ملكُ بابل أورشليم للمرة الأولى في نحو السنة ٦٠٥ ق. م. وبعد مدة قصيرة استسلمت وصارت محمية بابلية يملك عليها صدقيّا الذي ما لبث

حتى عاد وتمرَّد على ملك بابل . فرجع ملك بابل وحاصرها من جديد واحتلها وسبى سكانها إلى بابل وهدم الهيكل والسور وقصور المدينة ولم يترك فيها إلا عدداً قليلاً من الفلاحين وفقراء الشعب . من ذلك الحين لم يقم لليهود كيان سياسي في المدينة المقدسة . رجع قسم من المسبّيين بعد نحو سبعين سنة بمساعدة ملوك فارس ، لكن الأكثرية بقيت مشتتة في أطراف مملكة مادي وفارس . والذين عادوا إلى اورشليم نجحوا في إعادة بناء الهيكل والمدينة ، ولكنهم ظلوا خاضعين لسلطة الفرس واليونان والرومان حتى مجيء المسيح .

فالسبعة أزمنة التي ذكرها موسى على تشتت بني إسرائيل وفقدهم الكيان السياسي ينبغي أن تبتدىء منذ السنة ٦٠٥ ق. م. منذ الغزو البابلي ـ فإذا طرحنا الـ ٦٠٥ من ٢٥٨٠ (وهي مدة السبعة أزمنة) نصل إلى السنة ١٩٧٥ م.

٢ ـ تدنيس المكان المقدس ـ المذبح :

في سفر دانيال من أنبياء التوراة نبوءة عن غازٍ

يوناني يبلغ من قسوته على الهيكل ومقدساته أنه يهدم مقوّماتها ويضع مكانها أصناماً وثنية من آلهة اليونان ويجعل جنده على المحرقة الدائمة ويطرح الحق على الأرض. سأل دانيال الملاك الذي كان يريه كيفية وقوع الحوادث إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة والمعصية . فقال له الملاك : إلى الفين وثلاثمئة يوم (أيام سنين) ، فتبرأ القدس . ثم أضاف قائلاً : إفهم يا ابن آدم أن الرؤيا لوقت المنتهى ... أن الطاغية اليوناني الذي قام بتطبيق فصول النبوءة المذكورة كان أحد خلفاء الاسكندر المكدوني المعروف بـ « سوتير » ، وكان ذلك في السنة ٣٢٥ ق. م .

في طرح سني ما قبل الميلاد من ٢٣٠٠ سنة تكون سنة ١٩٧٥ هي التاريخ المشار إليه في النبوءة . « للمراجعة دانيال ٨ : ١٣ ــ ١٨ وقاموس التوراة ــ سوتير » .

٣ – مسجد عمر – المسجد الأقصى :

لما أكمل الملك سليمان بناء بيت الرب « الهيكل » ، تراءى له ملاك الرب في حلم وقال له : قدّست هذا

البيت الذي بنيته لأجل اسمي وتكون عينــاي وقلبي هنــاك كل الأيام ... ولكن إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهــة أخرى وتسجدون لها ـ فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدّسته لاسمي « الهيكل » أنفيه من أمامي ، ويكون شعب إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب ... » للمراجعة ـ سفر الملوك الأول « ٩ : ١ ـ ٧ » .

ويضيف الملاك في العدد « ٨ ـ ٩ » العبارة الآتية : « وهذا البيت يكون عالياً ... « في بعض الترجمــات يكون عبرة » ـ كل من ينظر إليـه يتعجّب ويصفّر ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟.. فيقولون له من أجل أنهم تركوا إلههم ... » .

فالبيت المشار إليه في العــدد « ٨ » من الاصحاح التاسع في سفر الملوك الأول من التوراة قُرب مسجد عمر ابن الخطاب أو المسجد الأقصى . كان المسلمون قد احتلوا

اورشليم سنة ٦٣٧ م. وفي السنوات التالية باشروا البناء على أساسات هيكل سليمان بالذات . ويقول المؤرخون ان البطريرك سفرينوس هو الذي ساعد الخليفة على اختيار مكان الهيكل* لبناء المسجد ... في الاصحاح الأخير من سفر دانيال نبوءة تشير إلى أنه من وقت قيـــام البيت « العبرة » في المكان المقدس « مكان الهيكل » لوقت المنتهى تمر ١٣٣٥ سنة « أيام سنين » ... فإذا اعتبرنا سنة ٦٤٠ م. سنة البدء ببناء المسجد تكون سنة « ١٩٧٥ » سنة الحد الأقصى ...

٤ – ألف سنة سلام :

لا بدّ للعالم من أن يعيش عهد السلام الحقيقي الموعود به منذ البداية – فمن يمعن النظر في كتب الأنبياء وأقوال الرسل عن موضوع السلام يأخذه العجب ، فإنهم يتغنّون بأحاديث السلام ويرددون أسمـاء السلام ونعوته ، ويمر الجيل تلو الجيل ، ولا تسمع غير أصداء الحروب ، ولا تقرأ غير قصص المعـارك والقتال . معاهدات سلام ، واتفاقات سلام ، ومدن السلام ، وأنباء

* مجرد ادعاء توراتي :

السلام، وأبراج السلام، وجبال السلام، وشارات السلام ورموز السلام . ولا نرى في النتيجة، إلا الحروب، وأخبار الخيانات، والغدر والتآمر ... والإنجيل في آخر أسفاره يعد العالم بألف سنة سلام، يملك فيها الحق . وفي مكان آخر يذكر القديس بطرس جواباً على سؤال يتعلق بيوم الدين، ويوم القيامة ويوم الله القادر على كل شيء، أن اليوم عند الله يساوي ألف سنة .. «رؤيا ٢٠ ـ ٤». على أن مدة عهد السلام هذا ما زالت موضع نقاش، وكبار اللاهوتيين يختلفون في تحديدها . بعضهم يقول انها مدة ألف سنة، وأنها مدة يوم الدين يقوم فيها الناس جيلاً بعد آخر مبتدئين من جيل آدم، وينال كل واحد ثوابه . يقول آخرون ان عهد السلام يبتدىء ولا ينتهي.

الأمر المتفق عليه في هذا الشأن، أن الوضع الذي انتهى إليه العالم الحاضر من جميع الوجوه وضعٌ غير قابل للاستمرار أكثر من سنة أو سنتين . وآخر أدلة الكتب المقدسة على ذلك قول ملاك الله لسيدتنا مريم : « ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينه يسوع . هذا

يكون عظيماً وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسيّ داود أبيه ولا يكون لملكه نهاية ... » . سئل القديس بطرس عن موعد بداية هذا الملك فقال : « انتبهوا أيها الإخوة أن يوماً عند الله يساوي ألف سنة ... » .

كان الرقم « ٣ » أداة رئيسية لفتح ألغاز ورموز الكتب المقدسة في جميع الأدوار كما كان له في حياة المسيح ومراحل عمله وتعليمه وبشارته وموته وقيامته أهمية بالغة ... فثلاثة أيام « موت المسيح » تَرمز إلى ثلاثة آلاف سنة تفصل بين موت داود الملك وتسلم المسيح كرسي داود ليملك إلى الأبد ... مات الملك داود في نحو السنة « ١٠٢٥ ق. م. » وبمرور ثلاثة آلاف سنة ندرك سنة ١٩٧٥ أيضاً موعداً لبداية عالم جديد.

يعلّل الإنسان نفسه بالأمل ويعيش في عالم شرير فاسد سدّت أمامه جميع سبل الإصلاح. حكامه يتحدثون عن السلام ويستعدون للحرب . وعاظه يتكلّمون عن الزهد والتقشف وخوف الله ويتسابقون على الشهرة

والنفوذ والمغانم . المثقّفون والمتعلمون يحاولون استغلال جهالة الجماهير وطيشها بالتفنن في اختراع الملاهي والأفلام الخليعة ، ودور السينما ، والمباريات الرياضية والمصارعة ، وانتخاب ملكات الجمال ... من يبقى لقيادة الناس إلى سواء السبيل ؟

الفهرس

صفحة

صفحة

أقوال الأنبياء في مصير القدس



هذا الكتاب

* انه عرض مكثف لتاريخ القدس : منذ أقدم العصور حتى الأيام الحاضرة ، وهو موثق بالاشارات إلى آيات الكتب المقدسة الثلاثة .. وما ترمز اليه آياتها من نبوءات واجبة التحقيق في ما يقدُم من الزمان .

* وهو يعمد إلى التفصيل في فترة غامضة من تاريخ هذا المكان المقدس ، هي ما بين الثورة المكابية وقدوم السيد المسيح ... وهي أشد الفترات اظلاماً في تاريخ اليهود وعلاقاتهم بالرومان .

* إنه استقراءٌ لحساب الجُمل ، وشواهدُ دامغة على أن مصير العالم إنما يحدده مصير القدس ... وفي فترة تطرق الأبواب .